g



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٨ - ٤٢٥

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC: BP 41.75 .Y34 2017

المؤلف الشخصي: ياسين، يحيى غالي

العنوان: القضية الحسينية: عرض وتحليل

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م

الوصف المادي: [٢٢٤] صفحة

سلسلة النشر: العتبة الحسينية المقدسة (٣٢٧) - قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ (٢٣٩)

تبصرة ببليوغرافية: يتضمن هوامش

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الامام الثالث، ٤ – ٦١ للهجرة.

موضوع شخصي: الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، الامام الثالث، ٤ – ٦١ للهجرة – شهادة.

مصطلح موضوعي: واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة – اسباب ونتائج.

مصطلح موضوعي: عاشوراء – شعائر ومراسيم مذهبية – دراسة حالة.

مصطلح موضوعي: الشعائر الحسينية – آداب وسلوك.

مصطلح موضوعي: زيارة وارث.

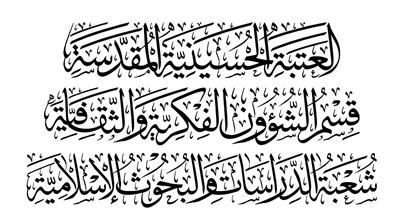
تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



عرضٌ وتحليل

تأليف

يحيى غالي ياسين



الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

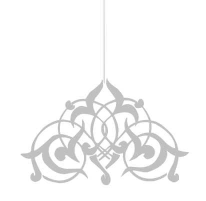


العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



تقديم وإهداء واعتذار

لم تـزل كـربلاء شـاهدة علـى وجـود الظلـم في هـذه الأرض مـن جانـب واستمراره بل وتماديه من الجانب الآخر، لم تكـن واقعـة الطـف غلطـة أو هفـوة أو تصرفاً على غير الطبيعة أو السجية البشرية، لا بل هي تمثل الوجه الحقيقي لوجهي الإنسان اللذين نصّت عليهما الآية المباركة من سورة الإنسان:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1].

تمثل القضية الحسينية نموذجاً للصراع الطويل بين الحق والباطل والـذي بـدأ بـين الأخـوين قابيـل وهابيـل واسـتمر بـين كوكبـة الحـق مـن الأنبيـاء والأوصـياء والصلحاء وكوكبة الباطل من الطواغيت والفراعنة ومن شاكلهم، وعليه صـح أن نفهم الوراثة الحسينية الواردة في الزيـارة المقدسـة (وارث) هـذا النـوع مـن الوراثـة المتمثل بقيادة معسكر الحق واستخلاف تلك الكوكبة المباركة...

إلا أنّنـا نعتقـد أنّ هـذه المعركـة (الطويلـة) وإن بـدت للعيـان انهـزام الحـق

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

وتراجعه في بعض من فصولها، بأنّها ستكون سبباً لزهوق الباطل وتفرد الحق على هذه الأرض.

حازت القضية الحسينية من الأهمية وتعظيم الشأن الشيء الكبير ومن الأرض والسماء على حد سواء، فتواترت النصوص الشارحة لها والمبينة أهميتها وعظيم إحيائها ما يذهل العقول، تنوعت الأقلام الكاتبة ــ لها وبها ــ تنوعاً مذهبياً أُفقياً، فكتب وتطرق لها المسلم والمسيحي، البوذي والصابئي...، وكذلك عمودياً، حيث اهتم بها المثقف والمراهق ثقافياً والمختص أكاديمياً... .

ومن هذه المنطلقات وغيرها من التي لا يمكن ترجمتها من الوجدان إلى ما يستطيع أن يخطه البنان، سعينا إلى كتابة رؤى وأفكار تجول في خاطرنا حول بعض جوانب هذه الثورة المباركة مدركين أنّنا نغترف من شاطئ بحر عميق لا يصل إلى سبيل مكامن صدفاته إلاّ من جاهد في الله { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا... } ، ولكننا مؤمنون في الوقت نفسه بأنّ سفينة الحسين عليه السلام وكما ورد أوسع وتسع أن تقل أمثالي.

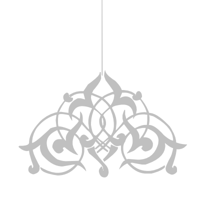
عرضنا هذه الرؤى والأفكار ضمن فصلين، الأول عرضي سردي لوقائع حركة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة وحتى كربلاء الشهادة ثم بدء مرحلة السبي مروراً بالكوفة والشام ثم الرجوع إلى المدينة وليس بأُسلوب تقليدي وإنّما حاولنا الاختصار والاهتمام ببعض النقاط المهمة وعلى شكل نقاط متسلسلة بما يضمن رسم سيناريو كامل لحركة الثورة من الوجهة التاريخية، والثاني تحليلي يتناول بعض جوانب تلك الثورة المقدسة والخروج ببعض النتائج والثمرات.

الأول كما قلنا عبارة عن نقاط ورؤوس أقلام متسلسلة وحسب ما ذكرته أهم المصادر، والثاني وقع تحت مجموعة من الأبحاث تحمل كلٌّ منها فكرة أو إشارة أو ضوءاً يسطع علينا من داخل مكامن هذه القضية التي لا تزال بكراً رغم محاولات العشاق الشرعيين وغير الشرعيين لها.

أُهدي ثواب عملي هذا إلى مقام مولاي الحسين عليه السلام، وأعتذر إلى الله ربي وله عليه السلام ومن مولاي صاحب العصر عن كل قصور وتقصير وأطلب منهم أن يردوا عليّ بجزيل إحسانهم في حياتي وأثناء مماتي ما ينفعني في آخرتي ومعادي.

يحيى غالي ياسين

السماوة / ٢٠١١



مقدمة اللجنة العلمية

لم تـزل القـضية الحـسينية بحاجـة الى تحليـل ينـسجم وحجـم هـذه القـضية الكبرى، ولم تزل جميع المحاولات في بداياتها فهي تقـدم رؤيتـها الشخـصية وقراءتها الخاصة حول مجريات كربلاء ولمت تتعد كل المحاولات التحليلية الى منـاهج تحـاكي شخصية الكاتب وتتوائم مـع توجهاتـه، ولعـل في قـضية كـربلاء سر البقـاء وسر الديمومة التي من خلالها ترفدُ كربلاء طاقات الابداع، فيقوم التحليل يُعداً آخر مـن أبعاد الادراك الواسع لتشمل جميع أنحاء الحياة، فهي لا تقتـصر علـى المأسـاة مـا لم تعطي بُعداً من أبعاد الواقعة العاشورائية.

فالقضية الحسينية لا تقتصر على بعدها التاريخي بل تأخذ المتأمل الى أعمـاق البعد الانـساني ليكتـشف الكـثير مـن دواعـي الحيـاة الـتي أسستها كـربلاء وأرسـى دعائمها الإمام الحسين عليه السلام، فاذن عاشوراء موروث نـسائي لا يقـف عنـد حدود البحث بل يتعدى الى هواجس تحمل في مطاويها الخير والكمال.

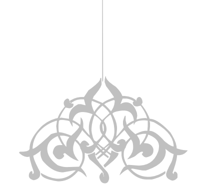
والدراسة التي بـين أيـدينا هـي وقفـات خاطفـة لقـضية مـلأت أسمـاع الـدهر وهـزت كيـان الإنـسان بمـشاعر لا تـزال تفـيض رحمـةً وعطـاء وقـد قـدّم الأسـتاذ الخفاجي دراسته الموسومة "القضية الحسنية عرض وتحليل" وقـد اسـتطاع أن يقـدم رؤيته في هذا المضمار، شكر الله مساعيه ووفقه للمزيد انه ولي التوفيق.



الفصل الأول

عرض الثورة الحُسَينيّة المقدسة

من المدينة إلى المدينة



مسلسل مسير الركب الحسيني المقدس من المدينة إلى المدينة[1]

في المدينة المنورة....

* مات معاوية بن أبي سفيان (لع) في رجب سنة ستين من الهجرة[2]، كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة وكان أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة على أهلها عامة وخاصة على الإمام الحسين عليه السلام ويقول له: إن أبى عليك فاضرب عنقه وأبعث إليّ برأسه.

* أحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الإمام الحسين عليه السلام فقال إنّه لا يقبل ولو كنتُ مكانك لضربت عنقه فقال الوليد ليتني لم أك شيئاً مذكوراً.

(١) تسلسل وتفاصيل مسير الركب وفق كتاب اللهوف، إلا أنه بشيء من التصرف (حذف ـ إضافة ـ تعليق).

(٢) حكم معاوية حوالي ٤٢ سنة من عمره البالغ أكثر من ٧٠ سنة منذ أن عينّه عمر بن الخطاب في ١٨ للهجرة والياً على دمشق خلفاً لأخيه يزيد وأقره عثمان وخرج على الإمام علي عليه السلام وصالح الإمام الحسن عليه السلام.

* بعث الوليد إلى الإمام الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه فنعى الوليد إليه موت معاوية وعرض عليه البيعة ليزيد، فقال: «أيها الأمير إنّ البيعة لا تكون سراً ولكن إذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم»، فقال مروان: لا تقبل أيها الأمير عذره ومتى لم يبايع فاضرب عنقه فغضب الإمام الحسين عليه السلام ثم قال:

«ويل لك يا بن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي كذبت والله ولؤمت».

ثم أقبل على الوليد فقال:

«... إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة».

* خرج عليه السلام فقال مروان للوليد عصيتني! فقال: ويحك إنّك أشرت إلي بذهاب ديني ودنياي والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وإني قتلت حسيناً والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين عليه السلام إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

* عند الصباح خرج الإمام الحسين عليه السلام من منزله يستمع الأخبار فلقيه مروان فقال له: يا أبا عبد الله إنّي لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الإمام عليه السلام:

«وما ذاك قل حتى أسمع!».

فقال مروان: إنّي آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنّه خير لك في دينك ودنياك، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرمة على (آل) أبي سفيان».

وطال الحديث بينه وبين مروان حتى انصرف مروان وهو غضبان.

في مكة المكرمة...

* فلما كان الغداة توجه الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة لثمانٍ مضين من شعبان سنة ستين للهجرة فأقام بها باقي شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة (أربعة أشهر وخمسة أيام أي ما يقارب ١٢٥ يوماً).

وقال ابن كثير[(١)] عن هذه المدة:

(وعكف الناس بمكة يفدون إليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه وينتفعون بما يسمعون ويضبطون ما يروون عنه)[(٢)].

* سكن عليه السلام في دار العباس بن عبد المطلب[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٣.

(٢) اختلف المؤرخون بهوية المحتفين، فبعضهم ذهب إلى أنهم أهل مكة ونزلاؤها (انظر باقر شريف القرشي)، وآخرون رأوا أن المعتمرين والحجاج وقليلاً من المكيين الذين سكنوها بعد الفتح هم من فعل ذلك كون أهل مكة كانوا من أشد الأعداء لآل علي عليهم السلام بسبب ما فعل بهم في حروب التنزيل (انظر نجم الدين الطبسي في موسوعة مع الركب الحسيني).

(٣) تعددت الآراء في سبب اختيار دار العباس، فقيل بسبب أنها الدار الوحيدة التي تركتها قريش ←

* وجاء عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير فأشارا إليه بالإمساك، فقال لهما:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه».

فخرج ابن عباس وهو يقول واحسيناه.

ثم جاء عبد الله بن عمر فأشار إليه بصلح أهل الضلال وحذره من القتل والقتال فقال عليه السلام له:

«يا أبا عبد الرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً فلم يعجل الله عليهم بل أمهلهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعنّ نصرتي».

* وسمع أهل الكوفة بوصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة وامتناعه من البيعة ليزيد فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فلما تكاملوا قام سليمان بن صرد فيهم خطيباً وقال في آخر خطبته: (يا معشر الشيعة إنّكم قد علمتم بأنّ معاوية قد هلك وصار إلى ربه وقدم على عمله وقد قعد في موضعه

لبني هاشم أو بسبب بيع عقيل دور بني هاشم وقيل إنّه لم يرد تكليف أحدٍ في ضيافته أو أنه لم يرد أن يمنح أحداً تزكية نزوله في داره... .

ابنه يزيد وهذا الحسين بن علي عليهما السلام قد خالفه وصار إلى مكة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم فإنّ كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه فكتبوا إليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم.. للحسين بن علي أمير المؤمنين، من سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وعبد الله ابن وائل، وشيعة من المؤمنين، سلام عليك، أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك، وعدو أبيك من قبل الجبار العنيد الغشوم الظلوم، الذي ابتز هذه الأُمّة أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود، ثم إنّه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجمع معه في جمعة ولا جماعة، ولا نخرج معه في عيد، ولو قد بلغنا أنّك أقبلت أخرجناه حتى يلحق بالشام، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا بن رسول الله وعلى أبيك من قبلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

ثم سرحوا الكتاب ولبثوا يومين وأنفذوا جماعة معهم نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة، يسألونه القدوم عليهم وهو مع ذلك يتأنى ولا يجيبهم فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها في نوب متفرقة أثنا عشر ألف كتاب.

* ثم قدم عليه بعد ذلك هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي،

بهذا الكتاب وهو آخر ما ورد على الحسين عليه السلام من أهل الكوفة وفيه: (بسم الله الرحمن الرحيم.. لحسين بن علي أمير المؤمنين عليه السلام.. أما بعد فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل يا بن رسول الله، فقد اخضرت الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم علينا إذا شئت، فإنّما تقدم على جند مجندة لك، والسلام عليك ورحمة الله وعلى أبيك من قبلك).

* قال الإمام الحسين عليه السلام لهاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي:

«خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب به إليّ معكما؟».

فقالا: يا بن رسول الله شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد.

* عندها قام الإمام الحسين عليه السلام فصلى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله الخيرة في ذلك ثم طلب مسلم بن عقيل وأطلعه على الحال وكتب معه جواب كتبهم(١)، يعدهم بالقبول ويقول ما معناه:

«قد نفذت إليكم ابن عمي مسلم بن عقيل ليعرفني ما أنتم عليه من رأي جميل».

---

(١) وقيل إن هذا الكتاب أرسله الإمام عليه السلام مع آخر رسل أهل الكوفة أي مع هاني وسعيد. ذكر ذلك الطبري في تاريخه: ج٣، ص٢٧٨.

سفارة مسلم بن عقيل عليه السلام

* سار مسلم عليه السلام بالكتاب[١] حتى وصل الكوفة[٢] فلما وقفوا على كتاب استبشارهم بإيابه ثم أنزلوه في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي[٣]، وصارت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، وهم يبكون حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

* وكتب عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، وعمارة بن عقبة، وعمر بن سعد، إلى يزيد يخبرونه بأمر مسلم ويشيرون عليه بصرف النعمان بن بشير وولاية غيره[٤].

فكتب يزيد[٥] إلى عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة بأنّه قد ولاه الكوفة وضمها إليه وعرفه أمر مسلم بن عقيل وأمر الحسين عليه السلام وشدد عليه في تحصيل مسلم وقتله رضوان الله عليه فتأهب عبيد الله للمسير إلى الكوفة.

---

(١) وكان معه قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الله بن عبد الرحمن ابني شداد الأرحبي.

(٢) على بعض الروايات: خرج عليه السلام من مكة في النصف من شهر رمضان المبارك ووصل لخمس خلون من شهر شوال.

(٣) وقيل إنّه نزل في بيت مسلم بن عوسجة (هذا رأي ابن كثير في تاريخه)، علماً بأن الإمام عليه السلام أمره «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها».

(٤) ذكرت عدة أسباب لتراخي النعمان منها: كون المختار زوج ابنته، ومنها أنّه كان من الأنصار وأن يزيد كان معادياً لهم، ومنها أنه كان على مذهب معاوية في كراهية قتل الحسين عليه السلام كدهاء سياسي منه.

(٥) باستشارة من مستشار القصر الأُموي سر جون النصراني.

* وكان الإمام الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان ويكنى أبا رزين[١] يدعوهم فيه إلى نصرته ولزوم طاعته منهم يزيد بن مسعود النهشلي[٢]، والمنذر بن الجارود العبدي[٣]، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم، وبني حنظلة، وبني سعد، فلما حضروا قال: (يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم، وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً، قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه، فقالوا: إنّا والله نمنحك النصيحة نجهد لك الرأي، فقل حتى نسمع.

إنّ معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن أنّه قد أحكمه، وهيهات والذي أراد اجتهد والله ففشل وشاور فخذل وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين ويتآمر عليهم بغير رضى منهم، مع قصر حلم، وقلة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته، وسنه، وقدمه، وقرابته،

(١) مشهور المؤرخين هو هذا الاسم، إلا أن بعضهم قال إنّ اسمه زراع السدوسي، إلا أن بعض المحققين أثبت اسم سليمان من زيارة الناحية المقدسة (السلام على سليمان مولى الحسين ابن أمير المؤمنين ولعن الله قاتل سليمان بن عوف الحضرمي) انظر: مع الركب الحسيني للطبسي: ج٢، ص٣٨.

(٢) من أشراف البصرة الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

(٣) ولاه الإمام علي عليه السلام بعض أعماله فخان فيه.

يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلاّ أورثه الله الذل في ولده والقلة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب).

* فتكلمت بنو حنظلة فقالوا: (أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك والله بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت فافعل).

* وتكلمت بنو سعد بن يزيد، فقالوا: (يا أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا).

* وتكلمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: (يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نوطن إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا نجبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت).

فقال: (والله يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً ولا زال سيفكم فيكم).

* ثم كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد: فقد وصل كتابك وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرعتهم من زيتونة أحمدية هو أصلها، وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وكظها، وقد ذللت لك بني سعد وغسلت دون صدورها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع).

فلما قرأ الإمام الحسين عليه السلام الكتاب قال:

«مالك آمنك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر».

* فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الإمام الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير فجزع من انقطاعه عنه.

* وأما المنذر بن الجارود فإنّه جاء بالكتاب ورسول الإمام الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد[١] لأنّ المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيد الله بن زياد وكانت بحرية بنت المنذر زوجة لعبيد الله بن زياد فأخذ عبيد الله بن زياد الرسول فصلبه[٢] ثم صعد المنبر فخطب وتوعد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الأرجاف، ثم بات تلك الليلة.

---

(١) وهذه خيانة أخرى له.

(٢) وهو الشهيد الأول في الثورة الحسينية المقدسة، وأما مسلم بن عقيل رضوان الله عليه فهو الأول من بني هاشم.

* فلما أصبح استناب عليهم أخاه عثمان بن زياد وأسرع هو إلى قصر الكوفة فلما قاربها نزل حتى أمسى، ثم دخلها ليلاً فظن أهلها أنّه الحسين عليه السلام فاستبشروا بقدومه ودنوا منه فلما عرفوا أنّه ابن زياد تفرقوا عنه فدخل قصر الإمارة وبات فيه إلى الغداة، ثم خرج وصعد المنبر وخطبهم وتوعدهم على معصية السلطان ووعدهم مع الطاعة بالإحسان مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة.

* فلما سمع مسلم بن عقيل عليه السلام بذلك خاف على نفسه من الاشتهار فخرج من دار المختار وقصد دار هانئ بن عروة فآواه وكثر اختلاف الشيعة إليه وكان عبيد الله قد وضع المراصد عليه.

* فلما علم أنّه في دار هاني دعا محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج، وقال: ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا. فقالوا: ما ندري وقد قيل إنّه يشتكي، فقال: قد بلغني ذلك وبلغني أنّه قد برء وأنّه يجلس على باب داره ولو أعلم أنّه شاك لعدته فألقوه ومروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا فإنّي لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

* فأتوه ووقفوا عليه عشية على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير فإنّه قد ذكرك، وقال، لو أعلم أنّه شك لعدته فقال، لهم الشكوى تمنعني فقالوا له: قد بلغه أنّك تجلس كل عشية على باب دارك وقد استبطاك والإبطاء والجفاء لا يتحمله السلطان من مثلك لأنّك سيد في قومك ونحن نقسم عليك إلا ما ركبت معنا.

* فدعا بثيابه فلبسها، ثم دعا ببغلته فركبها حتى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه

أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يابن أخي إنّي والله لهذا الرجل الأمير لخائف فما ترى! قال: والله يا عم ما أتخوف عليك شيئاً ولا تجعل على نفسك سبيلاً، ولم يكن حسان يعلم في أي شيء، بعث إليه عبيد الله فجاء هاني والقوم معه حتى دخلوا جميعاً على عبيد الله فلما رأى هانياً قال: أتتك بخائن لك رجلاً ثم التفت إلى شريح القاضي وكان جالساً عنده وأشار إلى هاني وأنشد بيت عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

* فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير؟ فقال أيه يا هاني ما هذه الأُمور التي تربص في دورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين، جئت بمسلم بن عقيل وأدخلته في دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ! فقال: ما فعلت فقال ابن زياد: بلى قد فعلت، فقال: ما فعلت أصلح الله الأمير فقال ابن زياد: عليّ بمعقل مولاي، وكان معقل عينه على أخبارهم وقد عرف كثيراً من أسرارهم فجاء معقل حتى وقف بين يديه فلما رآه هاني عرف أنّه كان عيناً عليه فقال: أصلح الله الأمير والله ما بعثت إلى مسلم بن عقيل ولا دعوته ولكن جائني مستجيراً فأجرته، فاستحيت من رده ودخلني من ذلك ذمام، فضيفته فلما إذ قد علمت فخل سبيلي حتى أرجع إليه. وآمره بالخروج من داري إلى حيث شاء من الأرض لأخرج بذلك من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به، فقال: لا والله لا أجيئك به أبداً، أجيئك بضيفي حتى تقتله! قال: والله لتأتيني به. قال: لا والله لا آتيك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي فقال: أصلح الله الأمير خلني وإياه حتى أُكلمه فقام فخلى به ناحية وهما بحيث يراهما ابن زياد ويسمع كلامهما إذا رفعا أصواتهما، فقال له مسلم: يا هاني أناشدك الله أن لا تقتل نفسك ولا تدخل البلاء على عشيرتك فو الله إنّي لأنفس بك عن القتل إنّ هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضاربيه فادفعه إليه فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة وإنّما تدفعه إلى السلطان، فقال هاني: والله إنّ عليّ بذلك الخزي والعار أنا أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان والله لو لم أكن إلا واحد، وليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه فأخذه يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه أبداً فسمع ابن زياد ذلك.

فقال ابن زياد: أدنوه مني فأُدني منه فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك... فقال هاني: إذن والله تكثر البارقة حول دارك... فقال ابن زياد: وا لهفاه عليك أبالبارقة تخوفني! وهاني يظن أن عشيرته يسمعونه ثم قال: أدنوه مني فأُدني منه فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى انكسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خده وجبينه على لحيته فانكسر القضيب.

* فضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطي فجاذبه ذلك الرجل، فصاح ابن زياد: خذوه: فجروه حتى ألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرساً ففعل ذلك به.

* فقام أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد وقيل إنّ القائم حسان بن أسماء. فقال أرسل غدر سائر القوم أيها الأمير أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا

جئناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه على لحيته وزعمت أنّك تقتله فغضب ابن زياد، وقال: وأنت ها هنا ثم أمر به فضرب حتى ترك وقيد وحبس في ناحية من القصر. فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون، إلى نفسي أنعاك يا هاني.

* وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانياً قد قتل وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة فأقبل عمرو في مذحج كافة حتى أحاط بالقصر ونادى عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغنا أنّ صاحبنا هانياً قد قتل، فعلم عبيد الله باجتماعهم وكلامهم فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده، ويخبر قومه بسلامته من القتل ففعل ذلك وأخبرهم فرضوا بقوله وانصرفوا.

* وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل عليه السلام فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد فتحصن منه الشام بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعدوهم بأجناد الشام فلم يزالوا كذلك، حتى جاء الليل فجعل أصحاب مسلم يتفرقون عنه ويقول بعضهم لبعض ما نصنع بتعجيل الفتنة أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم فلم يبق معه سوى عشرة أنفس.

* دخل مسلم عليه السلام المسجد ليصلي المغرب فتفرق العشرة عنه فلما رأى ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة حتى وقف على باب إمرأة يقال لها طوعة فطلب منها ماء فسقته ثم استجارها فأجارته فعلم به ولدها فوشى الخبر بطريقة إلى ابن زياد فأحضر محمد بن الأشعث وضم إليه جماعة وأنفذه لإحضار مسلم.

* فلما بلغوا دار المرأة وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه وركب محمد بن الأشعث وقال: يا مسلم لك الأمان. فقال مسلم: وأي أمان للغدرة الفجرة ثم أقبل يقاتلهم ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن:

أقسمت أنْ لا أقتل إلا حرا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أكره أن أُخدع أو أُغرا أو أخلط البارد سخناً مرا
كل امرئ يوماً يلاقي شرا أضربكم ولا أخاف ضرا

فنادوا إليه أنّه لا يكذب ولا يغر فلم يلتفت إلى ذلك وتكاثروا عليه بعد أن أُثخن بالجراح فطعنه رجل من خلفه فخر إلى الأرض فأُخذ أسيراً فلما أُدخل على عبيد الله لم يسلم عليه فقال له الحرس. سلم على الأمير فقال له: اسكت ويحك والله ما هو لي بأمير فقال ابن زياد، لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنّك مقتول فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني وبعد فإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوم الغلبة لا أحد أولى بها منك، فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة، فقال مسلم: كذبت يابن زياد! إنّما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد وأما الفتنة فإنّما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علج من ثقيف وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته.

* فقال ابن زياد: منتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله، فقال له مسلم: ومن يابن مرجانة؟ فقال أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: أتظن أنّ لك في الأمر شيئاً.

فقال له مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشتت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم، فقال مسلم: ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتآمرتم على الناس بغير رضى منهم وحملتوهم على غير ما أمركم الله به وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك فجعل زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين عليهم السلام.

فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا عدو الله فأمر ابن زياد بكير بن حمران، أن يصعد به إلى أعلى القصر فيقتله فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضرب عنقه فنزل مذعوراً، فقال له ابن زياد ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيئ الوجه حذا مني عاضاً على إصبعه أو قال على شفته، ففزعت منه فزعاً لم أفزعه قط، فقال له ابن زياد لعنه الله لعلك دهشت.

* ثم أمر بهاني بن عروة فجعل يقول وامذحجاه وأين مني مذحج وا عشيرتاه وأين مني عشيرتي، فقال له: مد عنقك، فقال لهم: والله ما أنا بها سخي، وما كنت لأعينك على نفسي، فضربه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فقتله.

* ومما فعله ابن زياد لعن الله في الكوفة هو اعتقال إثني عشر ألفاً من بينهم سليمان بن صرد والمختار....

* وكتب عبيد الله بن زياد بخبر مسلم وهاني إلى يزيد بن معاوية لعن الله

فأعاد الجواب إليه يشكره فيه على فعاله وسطوته ويعرفه أن قد بلغه توجه الحسين عليه السلام إلى جهته ويأمره عند ذلك بالمؤاخذة والانتقام والحبس على الظنون والأوهام.

خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة المكرمة....

* خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى العراق يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة[١] سنة ستين قبل أن يعلم بقتل مسلم لأنّه عليه السلام خرج من مكة في اليوم الذي قتل فيه مسلم رضوان الله عليه.

* وروى أنّه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

«الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أُجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا

(١) اختلف المؤرخون: ورد أنه عليه السلام خرج لثلاث مضين من ذي الحجة (انظر اللهوف) وورد أنه خرج في السابع من ذي الحجة (انظر كامل الزيارات وتذكرة الخواص) وورد أنه خرج في العاشر منه (انظر تاريخ دمشق). وما يؤيد رواية الثامن من ذي الحجة هو ما ورد في الرسالة الثانية منه عليه السلام إلى أهل الكوفة.

مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى».

* وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الإمامي في كتاب دلائل الإمامة، قال: حدثنا أبو سفيان بن وكيع عن أبيه عن الأعمش قال: قال أبو محمد الواقدي وزارة بن خلج: لقينا الحسين بن علي عليهما السلام قبل أن يخرج إلى العراق فأخبرناه ضعف الناس بالكوفة وأنّ قلوبهم معه، وسيوفهم عليه، فأومى بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلا الله عزّ وجل، فقال:

«لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي علي ـ عليه السلام ـ».

* وروى معمر بن المثنى في مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فقال: ما هذا لفظه، فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه أو يقاتله إن قدر عليه، فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية.

* وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«سار محمد ابن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة[١] فقال يا أخي إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد

(١) يروى بأن الإمام الحسين عليه السلام بعث من مكة إلى أخيه محمد ابن الحنفية ومن قبله من بني هاشم في المدينة رسالة موجزة يستقدمهم إليه.

خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإنّ رأيت أن تقيم فإنّك أعزُّ من في الحرم وأمنعه، فقال عليه السلام:

«يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت».

فقال له ابن الحنفية: فإنّ خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنّك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد، فقال عليه السلام:

«أنظر فيما قلت».

فلما كان السحر ارتحل الإمام الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال عليه السلام:

«بلى».

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً، فقال عليه السلام:

«أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً».

فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له عليه السلام:

«قد قال لي إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا».

وسلم عليه ومضى.

* وذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الرسائل عن محمد بن يحيى عن

محمد بن الحسين عن أيوب بن نوح عن صفوان عن مروان بن إسماعيل عن حمزة ابن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرنا خروج الحسين عليه السلام وتخلف ابن الحنفية عنه فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا حمزة، إنّي سأحدثك بحديث لا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا، إنّ الحسين عليه السلام لما فصل متوجهاً أمر بقرطاس وكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم.. من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أما بعد فإنّه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام)».

* وذكر المفيد محمد بن محمد بن النعمان (رحمه الله) في كتاب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومولد الأوصياء عليهم السلام بإسناده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (قال:

«لما سار أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام من مكة ليدخل المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة فسلموا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه إنّ الله عزّ وجل أمد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدك بنا، فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء فإذا وردتها فأتوني فقالوا: يا حجة الله إنّ الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك، فقال: لا سبيل لهم عليّ ولا يلقوني بكريهة أواصل إلى بقعتي، وأتته أفواج من مؤمني الجن، فقالوا له: .. مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بما تشاء فلو أمرتنا

بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم خيراً وقال لهم: أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى:

{ ...قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ... }(١).

فإذا أقمت في مكاني فبمن يمتحن هذا الخلق المتعوس، وبماذا يختبرون، ومن ذا يكون ساكن حفرتي، وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا ومحبينا تقبل أعمالهم وصلواتهم ويجاب دعاؤهم وتسكن شيعتنا فتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشوراء ـ وفي غير هذا الرواية يوم الجمعة الذي في آخره أقتل ـ ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخواني وأهل بيتي ويسار رأسي إلى يزيد بن معاوية (لعنهما الله).

فقالت الجن: والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا إن أمرك طاعة وإنّه لا يجوز لنا مخالفتك لخالفناك وقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال لهم عليه السلام: ونحن والله أقدر عليهم منكم ولكن ليهلك من هلك من بينة ويحيى من حي عن بينة»).

* ثم سار حتى مر بالتنعيم فلقي هناك عيراً تحمل هدية قد بعث بها بحير بن ريسان الحميري عامل اليمن إلى يزيد بن معاوية فأخذ الهدية لأنّ حكم أُمور

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

المسلمين إليه، وقال لأصحاب الجمال:

«من أحب أن ينطلق معنا إلى العراق وفينا كراه وأحسنا معه صحبته ومن يحب أن يفارقنا أعطينا كراه بقدر ما قطع من الطريق».

فمضى معه قوم وامتنع آخرون.

* ثم سار حتى بلغ ذات عرق فلقي بشر بن غالب وارداً من العراق فسأله عن أهلها، فقال: خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أُمية، فقال:

«صدق أخو بني أسد إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد».

* ثم سار حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال:

«قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة».

فقال له ابنه علي: يا أبه أفلسنا على الحق؟ فقال عليه السلام:

«بلى يا بني والله الذي إليه مرجع العباد».

فقال ابنه علي: يا أبه إذن لا نبالي بالموت، فقال الحسين عليه السلام:

«جزاك الله يا بني خير ما جزى ولداً عن والده».

ثم بات عليه السلام في الموضع المذكور فلما أصبح إذا برجل من الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي قد أتاه فسلم عليه ثم قالك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الحسين عليه السلام:

«ويحك يا أبا هرة إنّ بني أُمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي

فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم».

* ثم سار عليه السلام فحدث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا: كنا مع زهير بن القين لما أقبلنا من مكة فكنا نساير الحسين عليه السلام حتى لحقناه فكان إذا أراد النزول اعتزلناه فنزلنا ناحية فلما كان في بعض الأيام نزل في مكان لن نجد بداً من أن ننازله فيه فبينا نحن نتغدى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ثم قال: يا زهير بن القين إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأنّما على رؤوسنا الطير، فقالت له زوجته وهي ديلم بنت عمرو: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله عليه السلام ثم لا تأتيه فلو أتيته، فمضى إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحول إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال لامرأته: أنت طالق فإنّي لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير وقد عزمت على صحبة الحسين لأفديه بنفسي وأقيه بروحي ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام فقال لأصحابه من أحب أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد مني به.

* ثم سار الإمام الحسين عليه السلام حتى بلغ زباله فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل فعرف بذلك جماعة ممن تبعه فتفرق عنه أهل الأطماع والارتياب وبقي معه

أهله وخيار الأصحاب، قال الراوي: وارتج الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم ابن عقيل وسالت الدموع كل مسيل.

* ثم إنّ الحسين عليه السلام سار قاصداً لما دعاه الله فلقيه الفرزدق الشاعر فسلم عليه وقال يابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته...؟ قال فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً ثم قال:

«رحم اللّه مسلماً فلقد صار إلى روح اللّه وريحانه وجنته ورضوانه أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا ثم أنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تعد نفسية ... فإنّ ثواب الله أعلى وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل إمرة بالسيف في اللّه أفضل

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة حرص المرء في السعي أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

* وكتب الإمام الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وجماعة من الشيعة بالكوفة، وبعث به مع قيس بن مسهر الصيداوي(١) فلما قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير صاحب عبيد الله بن زياد ليفتشه فأخرج قيس الكتاب ومزقه فحمله الحصين بن نمير إلى عبيد الله بن زياد، فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال أنا رجل من

(١) يستظهر بعض المحققين أن قيساً بعث مع مسلم عليه السلام ثم بعثه مسلم عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكة ليخبره بالقدوم إلى الكوفة ومبايعة ثمانية عشر ألف شخص من الكوفيين، ثم بعثه الإمام عليه السلام مرة ثانية فقتل. انظر مع الركب الحسيني للطبسي: ج٢، ص٦٨.

شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابنه، قال: فلماذا خرقت الكتاب، قال: لئلا تعلم ما فيه، قال: وممن الكتاب وإلى من؟ قال: من الحسين عليه السلام على جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم، فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه، وإلا قطعتك إرباً إرباً.

فقال قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم وأما لعن الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه فأفعل، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر من الترحم على علي والحسن والحسين عليهم السلام ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني أُمية عن آخرهم ثم قال: أيها الناس أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم وقد خلقته بموضع كذا فأُجيبوه، فأخبر ابن زياد بذلك فأمر بإلقائه من أعالي القصر، فأُلقي من هناك فمات فبلغ الإمام الحسين عليه السلام موته فاستعبر البكاء ثم قال: اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً وأجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك إنّك على كل شيء قدير.

* وسار الإمام الحسين عليه السلام حتى صار على مرحلتين من الكوفة فإذا بالحر بن يزيد في ألف فارس، فقال له الحسين عليه السلام:

«ألنا أم علينا؟».

فقال: بل عليكم يا أبا عبد الله، فقال:

«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ثم تردد الكلام بينهما حتى قال له الحسين عليه السلام:

«فإذا كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به علَيَّ رسلكم فإنّني أرجع إلى الموضع الذي أتيت منه».

فمنعه الحر وأصحابه من ذلك، وقال: بل خذ يابن رسول الله طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يوصلك إلى المدينة لأعتذر أنا إلى ابن زياد بأنّك خالفتني في الطريق فتياسر الإمام الحسين عليه السلام حتى وصل إلى عذيب الهجانات قال: فورد كتاب عبيد الله بن زياد (لع) إلى الحر يلومه في أمر الحسين عليه السلام ويأمره بالتضييق عليه فعرض له الحر وأصحابه ومنعوه من السير فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

«ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق».

فقال له الحر بلى، ولكن كتاب الأمير عبيد الله قد وصل يأمرني فيه بالتضييق وقد جعل عليّ عيناً يطالبني بذلك.

قال الراوي: فقام الإمام الحسين عليه السلام ثم قال:

«إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وإنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جذاء ولم تبق منه إلاّ صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً فإنّي لا أرى الموت إلى سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».

فقام زهير بن القين وقال: (قد سمعنا هداك الله يابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة).

وقال الراوي: وقال هلال بن نافع البجلي فقال: (والله ما كرهنا لقاء ربنا

وإنّا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك، ونعادي من عاداك).

قال: وقام برير بن خضير فقال: (يابن رسول الله، لقد منّ الله بك علينا، أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة).

* ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام قام وركب وسار وكلما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أُخرى حتى بلغ كربلاء وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم فلما وصلها قال:

«ما اسم هذه الأرض؟».

فقيل: كربلاء، فقال عليه السلام:

«اللهم إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء».

ثم قال:

«هذا موضع كرب وبلاء انزلوا، هاهنا محط رحالنا، ومسفك دمائنا، وهنا محل قبورنا، بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

فنزلوا جميعاً ونزل الحر وأصحابه ناحية وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنّما الأمر إلى الجليل

قال الراوي:

«فسمعت زينب بنت فاطمة عليهما السلام ذلك فقالت: «يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل»، فقال عليه السلام:

«نعم يا أختاه».

فقالت زينب: «واثكلاه ينعى الحسين عليه السلام نفسه»، قال: وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب وجعلت أُمُّ كلثوم تنادي وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا أخاه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله، قيل فعزاها الحسين عليه السلام وقال لها:

«يا أختاه تعزي بعزاء الله فإنّ سكان السماوات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون».

ثم قال عليه السلام:

«يا أختاه يا أُمَّ كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيباً ولا تخمشن عليّ وجهاً ولا تقلن هجراً».

* وروي من طريق آخر أنّ زينب عليها السلام لما سمعت مضمون الأبيات وكانت في موضع آخر منفردة مع النساء والبنات خرجت حاسرة تجر ثوبها حتى وقفت عليه وقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم، اليوم ماتت أُمِّي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين، وثمال الباقين. فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال:

«يا أختاه، لا يذهبن بحلمك الشيطان».

فقالت: بأبي وأُمّي أستقتل نفسي لك الفداء فردت غصته وترقرقت عيناه بالدموع، ثم قال عليه السلام:

«لو ترك القطا ليلاً لنام».

فقالت: يا وليتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح قلبي وأشد على نفسي، ثم أهوت إلى جيبها فشقته وخرت مغشية عليها، فقام عليه السلام فصب عليها الماء حتى أفاقت ثم عزاها عليها السلام بجهده وذكرها المصيبة بموت أبيه وجدّه صلوات الله عليهم أجمعين.

* منازل طريق الإمام عليه السلام (مكة ـ كربلاء): بستان بني عام (أحد المنازل التي قيل إنّه عليه السلام لقي فيها الفرزدق) ← التنعيم (١٢ كم عن مكة وفيها التقى بقافلة اليمن المتوجهة إلى يزيد) ← الصفاح (يذكر أنّ فيها لقي عليه السلام الفرزدق) ← ذات عرق (٩٢ كم عن مكة، وقيل فيها لقي عليه السلام بشر بن غالب وارداً من العراق وقيل في الثعلبية وأخبر الإمام بحال أهل الكوفة ـ قلوبهم معك وسيوفهم عليك ـ) ← الحاجر من بطن الرّمة (فيه بعث الإمام عليه السلام قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة باعثاً إليهم كتاباً) ← الخزيمية (فيه جاءت زينب عليها السلام صباحاً إلى الإمام عليه السلام وأخبرته بأنّها سمعت ليلاً هاتفاً:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا ... بمقدار إلى إنجاز وعد

فقال لها عليه السلام:

«يا أختاه، المقضي هو كائن).

زرود (فيه انضم زهير بن القين إلى الإمام عليه السلام) ← الثعلبية (وهي ثلثا الطريق، فيه روي أنّ الإمام عليه السلام وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال «قد رأيت هاتفاً يقول أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة...» القصة) ← الشقوق (من مرويات لقاء الفرزدق فيه) ← زُبالة (فيها ورده عليه السلام خبر مسلم) ← بطن العقبة ← شراف (فيها أمر عليه السلام فتيانه في وقت السحر الاستقاء من الماء والإكثار منه) ← ذو حسم (لقاء الحر مع الإمام عليه السلام) ← البيضة (فيها خطب الإمام عليه السلام بأصحابه وأصحاب الحر) ← عُذيب الهجانات ← قصر بني مقاتل (فيها لقي عليه السلام عبيد الله بن الحر الجعفي ودار ما دار حتى قال له الإمام عليه السلام... فإنّ كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك...) ← نينوى.

في كربلاء

* وندب عبيد الله بن زياد أصحابه إلى قتال الحسين عليه السلام فاتبعوه واستخف قومه فأطاعوه، واشترى من عمر بن سعد آخرته بدنياه ودعاه إلى ولاية الحرب فلباه، وخرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام في أربعة آلاف فارس وأتبعه ابن زياد بالعسكر حتى اكتمل عنده إلى ست ليال خلون من محرم عشرون ألف فارس فضيقوا على الحسين عليه السلام حتى نال منه العطش ومن أصحابه فقام عليه السلم واتكى على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته فقال:

«أنشدكم الله هل تعرفونني؟».

قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبطه، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي علي بن أبي طالب عليه السلام».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء الأُمّة إسلاماً؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم هل تعلمون أنّ حمزة سيد الشهداء عم أبي؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفراً الطيار في الجنة عمي؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«هل تعلمون أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا متقلده؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«أنشدكم الله هل تعلمون أنّ علياً عليه السلام كان أول القوم إسلاماً وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنّه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟».

قالوا: اللهم نعم، قال عليه السلام:

«فبم تستحلون دمي وأبي عليه السلام الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة».

قالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً.

فلما خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأُخته زينب كلامه بكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهن فوجه إليهم أخاه العباس وعلياً ابنه وقال لهما:

«سكتاهن فلعمري ليكثرن بكاؤهن».

* وورد كتاب عبيد الله بن زياد على عمر بن سعد يحثه على تعجيل القتال ويحذره من التأخير والإهمال فركبوا نحو الإمام الحسين عليه السلام وأقبل شمر بن ذي الجوشن (لع) فنادى بنو أُختي عبد الله وجعفر والعباس وعثمان، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم».

فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: يا بني أُختي أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد، قال: فناداه العباس بن علي

عليهما السلام تبت يداك ولعن ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين ابن فاطمة عليهما السلام وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء قال: فرجع الشمر إلى عسكره مغضباً.

* ولما رأى الإمام الحسين عليه السلام حرص القوم على تعجيل القتال وقلة انتفاعهم بمواعظ الفعال والمقال قال لأخيه العباس عليه السلام:

«إن استطعت أن تصرفهم عنا في هذا اليوم فافعل لعلنا نصلي لربنا في هذه الليلة فإنّه يعلم أنّي أحب الصلاة له وتلاوة كتابه».

فسألهم العباس عليه السلام ذلك فتوقف عمر بن سعد فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي والله لو أنّهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأجابوه إلى ذلك.

* قال الراوي: جلس الإمام الحسين عليه السلام فرقد ثم استيقظ، فقال:

«يا أختاه إنّي رأيت الساعة جدي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأبي علياً وأُمّي فاطمة الزهراء وأخي الحسن وهم يقولون يا حسين إنّك رائح إلينا عن قريب – وفي بعض الروايات – غداً».

قال الراوي: فلطمت زينب وجهها وصاحت وبكت، فقال لها الحسين عليه السلام:

«مهلاً لا تشمتي القوم بنا».

* ثم جاء الليل فجمع الحسين عليه السلام أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم أقبل عليهم فقال:

«أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أصلح منكم ولا أهل بيت أبر، ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلٌّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني، وهؤلاء القوم فإنّهم لا يريدون غيري».

فقال له إخوته وأبناؤه، وأبناء عبد الله بن جعفر ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً وبدأهم بذلك القول العباس بن علي عليها السلام ثم تابعوه.

قال الراوي: ثم نظر إلى بني عقيل فقال:

«حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم اذهبوا فقد أذنت لكم».

وروي من طريق آخر قال: فعندها تكلم إخوته وجميع أهل بيته، وقالوا: يابن رسول الله فما يقول الناس لنا وماذا نقول لهم إنّا تركنا شيخنا وكبيرنا وابن بنت نبينا لم نرمِ معه بسهم ولم نطعن معه برمح ولم نضرب بسيف، لا والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً ولكنا نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

ثم قام مسلم بن عوسجة وقال: (نحن نخليك هكذا وننصرف عنك، وقد أحاط بك هذا العدو، لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أفارقك أو أموت معك).

قال: وقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال: (لا والله يابن رسول الله لا

نخليك أبداً حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولو علمت أنّي أقتل فيك ثم أُحرق ثم أذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً).

ثم قام زهير بن القين وقال: (والله يابن رسول الله لوددت أنّي قتلت ثم نشرت ألف مرة وأنّ الله تعالى قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوانك وولدك وأهل بيتك).

وتكلم جماعة من أصحابه بنحو ذلك، وقالوا: (أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا).

وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال قد أُسر ابنك بثغر الري فقال عند الله أحتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال:

«رحمك الله أنت في حلٍّ من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك».

فقال: (أكلتني السباع حياً إنْ فارقتك)، قال عليه السلام:

«فأعط ابنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار».

* قال الراوي: وبات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد فعبر عليهم في تلك الليلة عن عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً وكذا كانت سجية الحسين عليه

السلام في كثرة صلاته وكمال صفاته.

* وذكر ابن عبد ربه في الجزء الرابع من كتاب العقد، قال قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام ما أقل ولد أبيك، فقال:

«العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء».

* فلما كان الغداة أمر الحسين عليه السلام بفسطاط فضرب فأمر بجفنة فيها مسلك كثير وجعل عندها نورة ثم دخل ليطلي فروى أن برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري وقفا على باب الفسطاط ليطليا بعده فجعل برير يضاحك عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن: يا برير أتضحك ما هذه ساعة ضحك ولا باطل، فقال برير: لقد علم قومي أنّني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه فو الله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين.

* قال الراوي: وركب أصحاب عمر بن سعد لعنه الله فبعث الإمام الحسين عليه السلام برير بن خضير فوعظهم فلم يستمعوا وذكرهم فلم ينتفعوا فركب الحسين عليه السلام ناقته وقيل فرسه فاستنصتهم فأنصتوا، فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة والأنبياء والرسل وأبلغ في المقال ثم قال:

«تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتهم إلبا لأعدائكم على

أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصح لكم فيهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتهم إليها كتهافت الفراش فسحقاً يا عبيد الأُمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفى السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله الغدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتآزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاصب ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر».

ثم أوصل كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي:

فإن نهزم فهزامون قدماً	وإن نغلب فغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفع عن أناس	كلاكله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلك سرواة قومي	كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا	ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم أيم الله لا تلبثون بعدها إلى كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إليّ أبي عن جدي

فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّي توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأساً مصبرة فإنّهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».

* ثم نزل عليه السلام ودعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرتجز(١) فركبه وعبى أصحابه للقتال، فروي عن الباقر عليه السلام «إنّهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل» وروي غير ذلك.

* قال الراوي: فتقدم عمر بن سعد فرمى نحو عسكر الحسين عليه السلام بسهم وقال: (اشهدوا لي عند الأمير أنّي أول من رمى) وأقبلت السهام من القوم كأنّها المطر، فقال عليه السلام لأصحابه:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم».

فاقتتلوا ساعة من النهار حملة وحملة حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة.

* قال عندها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته وجعل يقول:

«اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضب الله

---

(١) قيل إنّ الفرس لا تعيش أكثر من ٥٠ سنة، فهذه إن لم تكن فرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنها من نسلها.

تعالى على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله تعالى وأنا مخضب بدمي».

فروي عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال:

«سمعت أبي يقول: لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب أنزل الله تعالى النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله فاختار لقاء الله».

* قال الراوي: ثم صاح عليه السلام:

«أما من مغيث يغيثنا لوجه الله، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله».

قال: فإذا الحر بن يزيد قد أقبل إلى عمر بن سعد فقال: أمقاتل أنت هذا الرجل! قال: أي والله، قتالاً أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: فمضى الحر ووقف موقفاً من أصحابه وأخذه مثل الأفكل، فقال له المهاجر بن أوس: والله إنّ أمرك لمريب ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فما هذا الذي أرى منك؟ فقال: والله إنّي أُخيّر نفسي بين الجنة والنار، فو الله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأُحرقت.

ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: اللهم إليك أنبت فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، فقال

للحسين عليه السلام: جعلت فداك أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع وجعجع بك وما ظننت أنّ القوم يبلغون منك ما أرى وأنا تائب إلى الله تعالى فهل ترى لي من توبة؟ فقال الحسين عليه السلام:

«نعم يتوب الله عليك».

فنزل وقال: أنا لك فارساً خير مني لك راجلاً وإلى النزول يصير آخر أمري، ثم قال فإذا كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك لعلّي أكون ممن يصافح جدك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم غداً في القيام ـ قيل إنّما أراد أول قتيل من الآن لأنّ جماعة قتلوا قبله كما ورد ـ فأذن له فجعل يقاتل أحسن قتال حتى قتل جماعة من شجعان وأبطال ثم استشهد فحمل إلى الحسين عليه السلام فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول:

«أنت حر كما سمّتك أُمُّك في الدنيا والآخرة».

* قال الراوي: وخرج برير بن خضير وكان زاهداً عابداً فخرج عليه يزيد ابن المغفل فاتفقا على المباهلة إلى الله تعالى في أن يقتل المحق منهما المبطل وتلاقيا فقتله برير، وقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

* قال: وخرج وهب بن جناح الكلبي فأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد وكانت معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا أُماه أرضين أم لا؟ فقالت الأُم: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام، وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك، فقالت له أُمه: يا بنيّ اغرب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيك تنل شفاعة جده يوم القيامة.

فرجع فلم يزل يقاتل حتى قطعت يداه فأخذت امرأته عموداً فأقبلت نحوه وهي تقول فداك أبي وأُمِّي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون أن أموت معك، فقال الحسين عليه السلام:

«جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي إلى النساء رحمك اللّٰه».

فانصرفت إليهن ولم يزل الكلبي يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

* ثم خرج مسلم بن عوسجة فبالغ في قتال الأعداء وصبر على أهوال البلاء حتى سقط إلى الأرض وبه رمق فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب ابن مظاهر فقال له الحسين عليه السلام:

«رحمك اللّٰه يا مسلم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

ودنا منه حبيب وقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله ثم قال له حبيب: لولا أنّي أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بكل ما أهمك، فقال له مسلم: فإنّي أوصيك بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام فقاتل دونه حتى تموت، فقال له حبيب: لأنعمنك عيناً، ثم مات رضوان الله عليه.

* فخرج عمرو بن قرطة الأنصاري فاستأذن الحسين عليه السلام فأذن له فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد، وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الإمام الحسين عليه

السلام سهم إلا اتقاه بيده، ولا سيف إلا اتقاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الإمام الحسين عليه السلام سوء حتى أُثخن بالجراح فالتفت إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوفيت؟ فقال عليه السلام:

«نعم أنت أمامي في الجنة فاقرأ رسول الله عنّي السلام وأعلمه أنّي في الأثر».

فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

* ثم برز جون مولى أبي ذر وكان عبداً أسوداً فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

«أنت في إذن منّي فإنّما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقنا».

فقال: يا بن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم والله إنّ ريحي لنتن وإنّ حسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس عليّ بالجنة فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيّض وجهي، لا والله لا أُفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثم قاتل رضوان الله عليه حتى قتل.

* قال الراوي: ثم برز عمرو بن خالد الصيداوي فقال: يا أبا عبد الله جعلت فداك قد هممت أن ألحق بأصحابك وكرهت أن أتخلف فأراك وحيداً بين أهلك قتيلاً، فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

«تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة».

فتقدم فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

* قال الراوي: وجاء حنظلة بن أسعد الشامي فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره وأخذ ينادي يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد، ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين، مالكم من الله من عاصم، يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب، وقد خاب من افترى.

ثم التفت إلى الإمام الحسين عليه السلام فقال له: أفلا نروح إلى ربنا ونلحق بإخواننا بلى رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى، فتقدم فقاتل قتال الأبطال وصبر على احتمال الأهوال حتى قتل رضوان الله عليه.

* قال وحضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه ثم صلى بهم صلاة الخوف فوصل إلى الإمام الحسين عليه السلام سهم فتقدم سعيد بن عبد الله الحنفي ووقف يقيه بنفسه ما زال ولا يتخطى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك عنّي السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإنّي أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك، ثم قضى نحبه رضوان الله عليه فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

* قال الراوي: وتقدم سويد بن عمر بن أبي المطاع وكان شريفاً كثير الصلاة فقاتل قتال الأسد الباسل وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتى سقط بين القتلى وقد أُثخن بالجراح فلم يزل كذلك وليس به حراك حتى سمعهم يقولون

قتل الحسين عليه السلام فتحامل وأخرج سكيناً من خفه وجعل يقاتلهم بها حتى قتل رضوان الله عليه.

* قال وجعل أصحاب الحسين عليه السلام يسارعون إلى القتل بين يديه وكانوا كما قيل فيهم:

قومٌ إذا نودوا لدفع ملمة ... والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع كأنّهم ... يتهافتون إلى ذهاب الأنفس

* فلما لم يبق معه سوى أهل بيته خرج علي بن الحسين عليهما السلام وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً فاستأذن أباه في القتال فأذن له ثم نظر إليه نظرة آيس منه وأرخى عليه السلام عينه وبكى ثم قال:

«اللهم اشهد فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك صلى الله عليه وآله وسلم وكُنّا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه».

فصاح وقال:

«يا بن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي».

فتقدم نحو القوم فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً ثم رجع إلى أبيه وقال: «يا أبت العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني فهل إلى شربة من الماء سبيل»، فبكى الحسين عليه السلام وقال:

«وا غوثاه أيا بني قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً».

فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم القتال فرماه منقذ بن مرة العبدي بسهم فصرعه فنادى «يا أبتاه عليك مني السلام هذا جدي يقرئك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا» ثم شهق شهقة فمات فجاء الحسين عليه السلام حتى وقف عليه ووضع خده على خده وقال:

«قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا».

* قال الراوي: خرجت زينب بنت علي عليهما السلام تنادي «يا حبيباه، يا بن أخاه»، وجاءت فأكبت عليه فجاء الحسين عليه السلام فأخذها وردها إلى النساء، ثم جعل أهل بيته عليهم السلام يخرج الرجل منهم بعد الرجل حتى قتل القوم منهم جماعة فصاح الإمام الحسين عليه السلام في تلك الحال:

«صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي فو الله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً».

* قال الراوي: (وخرج غلام كان وجهه شقة قمر فجعل يقاتل فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه ففلقه فوقع الغلام لوجهه وصاح يا عماه فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر ثم شد شدة ليث أغضب فضرب ابن فضيل بالسيف فاتقاها بالساعد فأطنه من لدن المرفق فصاح صيحة سمعه أهل العسكر وحمل أهل الكوفة ليستنقذوه فوطأته الخيل حتى هلك، قال وانجلت الغبرة فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين عليه السلام يقول:

«بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك وأبوك».

ثم قال عليه السلام:

«عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك صوته هذا يوم والله كثر واتره وقل ناصره».

ثم حمل عليه السلام الغلام على صدره حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته.

* قال ولما رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبته عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل من موحد يخاف الله فينا هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا فارتفعت أصوات النساء بالعويل فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب:

«ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه».

فأخذه وأومأ إليه ليقبله فرماه حرملة بن الكاهل الأسدي لعنه الله بسهم فوقع في نحره فذبحه فقال لزينب:

«خذيه».

ثم تلقى الدم بكفيه فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال:

«هوّن على ما نزل بي، أنّه بعين الله».

قال الباقر عليه السلام:

«فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض».

* قال الراوي: واشتد العطش بالحسين عليه السلام فركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوه بين يديه فاعترضته خيل ابن سعد فرمى رجل من بني دارم الحسين عليه السلام بسهم فأثبته في حنكه الشريف فانتزع عليه السلام السهم

وبسط يديه تحت حنكه حتى امتلأت راحتاه من الدم ثم رمى به وقال:

«اللهم إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك».

ثم اقتطعوا العباس عنه وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه قدس الله روحه فبكى الحسين عليه السلام لقتله بكاءً شديداً وفي ذلك يقول الشاعر:

أحق الناس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء

أخوه وابن والده علي أبو الفضل المضرج بالدماء

ومن واساه لا يثنيه شيء وجادله على عطش بماء

* قال الراوي: ثم إنّ الحسين دعا الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل مقتلة عظيمة وهو في ذلك يقول:

القتل أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

قال بعض الرواة فو الله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب ولقد كان يحمل فيهم ولقد تكملوا ثلاثين ألفاً فيهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول:

«لا حول ولا قوة إلا بالله».

* قال الراوي: ولم يزل عليه السلام يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله فصاح عليه السلام:

«ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون

المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

قال: فناداه الشمر ما تقول يابن فاطمة، فقال عليه السلام:

«إنّي أقول أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وجهالكم وطغاتكم من التعرض لحرمي ما دمت حياً».

فقال شمر لعنه الله: لك ذلك يا بن فاطمة.

* فقصدوه بالحرب فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجدي حتى أصابه اثنتان وسبعون جراحة فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال فبينا هو واقع إذ أتاه حجر فوقع على جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه فقال:

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال:

«إلهي أنت تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره».

ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنّه ميزاب فضعف عن القتال ووقف فكلما أتاه رجل انصرف عنه كراهة أن يلقى الله بدمه حتى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر فشتم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً.

* قال الراوي: فاستدعى الإمام الحسين عليه السلام بخرقة فشد بها رأسه

واستدعى بقلنسوة فلبسها اعتم، فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به فخرج عبد الله بن الحسن عليه السلام وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الإمام الحسين فلحقته زينب عليها السلام لتحبسه فأبى وامتنع امتناعاً شديداً فقال:

«لا والله لا أفارق عمي».

فأهوى بحر بن كعب وقيل حرملة بن كاهل إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام ويلك يا بن الخبيثة أتقتل عمي؟ فضربه بالسيف فاتقى الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فنادى الغلام يا أُماه فأخذه الإمام الحسين عليه السلام وضمه إليه وقال:

«يا بن أخي على ما نزل بك وأحتسب في ذلك الخير فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين».

قال فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام.

* ثم إنّ شمر بن ذي الجوشن لعنه الله حمل على فسطاط الإمام الحسين عليه السلام فطعنه بالرمح ثم قال: عليّ بالنار أحرقه على من فيه، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«يا بن ذي الجوشن أنت الداعي بالنار لتحرق عليّ أهلي، أحرقك الله بالنار».

وجاء شبث فوبخه فاستحا وانصرف.

* قال الراوي: وقال الحسين عليه السلام:

«ابغوا لي ثوباً لا يرغب فيه أجعله تحت ثيابي لئلا أجرد منه».

فأتى بتبان فقال له ذاك لباس من ضربت عليه الذلة فخرقه وجعله تحت ثيابه، فلما قتل عليه السلام جردوه منه.

ثم استدعى الإمام الحسين عليه السلام بسراويل من حبرة ففرزها ولبسها وإنّما فرزها لئلا يسلبها، فلما قتل عليه السلام سلبها بحر بن كعب لعنه الله وترك الإمام الحسين عليه السلام مجرداً فكانت يدا بحر بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنّهما عودان يابسان وتترطبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله تعالى.

* قال ولما أُثخن الحسين عليه السلام بالجراح وبقي كالقنفذ طعنه صالح بن وهب المري على خاصرته طعنة فسقط الإمام الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن وهو يقول:

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله».

ثم قام عليه السلام.

* قال الراوي: وخرجت زينب من باب الفسطاط وهي تنادي «وا أخاه وا سيداه وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل».

* قال وصاح شمر بأصحابه ما تنتظرون بالرجل، قال وحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى، وضرب الإمام الحسين عليه

السلام زرعة فصرعه وضرب آخر على عاتقه المقدس بالسيف ضربة كبا عليه السلام بها لوجهه وكان قد أعيا وجعل ينوء ويكب فطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته، ثم انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره، ثم رماه سنان أيضاً بسهم فوقع السهم في نحره فسقط عليه السلام وجلس قاعداً فنزع السهم من نحره وقرن كفيه جميعاً فكلما امتلأتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول:

«هكذا ألقى اللّه مخضباً بدمي مغصوباً على حقي».

قال عمر بن سعد لرجل عن يمينه: انزل ويحك إلى الحسين فأرحه، قال فبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتز رأسه فأرعد فنزل إليه سنان بن أنس النخعي لعنه الله فضرب بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول والله إنّي لأجتز رأسك وأعلم أنّك ابن رسول الله وخير الناس أباً وأماً، ثم اجتز رأسه المقدس المعظم وفي ذلك يقول الشاعر:

فأي رزية عدلت حسيناً ... غداة تبيره كفا سنان

وروى أبو طاهر محمد بن الحسن الترسي في كتاب معالم الدين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان، ضجت الملائكة إلى الله بالبكاء، وقالت: يا رب هذا الحسين عليه السلام صفيك وابن بنت نبيك».

قال: فأقام الله ظل القائم عليه السلام وقال بهذا أنتقم لهذا.

* قال الراوي: فارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء

مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر حتى ظن القوم أنّ العذاب قد جاءهم فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم.

* وروى هلال بن نافع قال: إنّي كنت واقفاً مع أصحاب عمر بن سعد (لع) إذ صرخ صارخ أبشر أيها الأمير فهذا شمر قتل الحسين عليه السلام، قال: فخرجت بين الصفين فوقفت عليه وإنّه ليجود بنفسه فو الله ما رأيت قط قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً وقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في قتله فاستسقى في تلك الحال ماءً فسمعت رجلاً يقول والله لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها فسمعته يقول:

«يا ويلك أنا لا أرد الحامية ولا أشرب من حميمها بل أرد على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن وأشكو إليه ما ارتكبتم منّي وفعلتم بي».

قال: فغضبوا بأجمعهم حتى كان الله لم يجعل في قلب واحد منهم من الرحمة شيئاً فاجتزوا رأسه وإنّه ليكلمهم فتعجبت من قلة رحمتهم وقلت والله لا أجامعكم على أمر أبداً.

* قال ثم أقبلوا على سلب الحسين فأخذ قميصه إسحاق بن حوية الحضرمي فلبسه فصار أبرص وامتعط شعره، وروى أنّه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنة سهم وضربة.

* وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«وجد في الحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة»، وأخذ سراويله بحر بن كعب التيمي لعنه الله، فروي أنّه صار زمناً مقعداً من رجليه وأخذ عمامته أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي، وقيل جابر بن يزيد الأودي لعنه الله وأخذ خاتمة بجدل بن سليم الكلبي، وقطع أصبعه عليه السلام مع الخاتم، وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط في دمه حتى هلك، وأخذ قطيفة له عليه السلام كانت من خز قيس بن الأشعث وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد فلما قتل عمر وهبها المختار لأبي عمرة قاتله، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي وقيل رجل من بني تميم يقال له أسود بن حنظلة وفي رواية ابن أبي سعد أنّه أخذ سيفه الفلافس النهشلي وزاد محمد بن زكريا أنّه وقع بعد ذلك إلى بنت حبيب بن بديل وهذا السيف المنهوب المشهور ليس بذي الفقار فإنّ ذلك كان مذخوراً ومصوناً مع أمثاله من ذخائر النبوة والإمامة وقد نقل الرواة تصديق ما قلناه وصورة ما حكيناه.

* قال الراوي: وجاءت جارية من ناحية خيم الحسين عليه السلام فقال لها رجل: يا أمة الله إنّ سيدك قتل قالت الجارية: فأسرعت إلى سيدتي وأنا أصيح فقمن في وجهي وصحن، قال: وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول وقرة عين البتول، حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة على ظهرها وخرج بنات آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحريمة يتساعدن على البكاء ويندبن لفراق الحماة والأحباء.

* وروى حميد بن مسلم قال: رأيت امرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين

عليه السلام وفسطاطهن وهم يسلبونهن أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا حكم إلا الله يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذها زوجها وردها إلى رحله.

فقال الراوي: ثم أُخرج النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة وقلن بحق الله إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام فلما نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن قال فو الله لا أنسى زينب بنت علي عليهما السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين: «وقلب حزين (يا محمداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه، هذا حسين بالعراء، تسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه، واكرباه، اليوم مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا».

وفي رواية: «يا محمداه، بناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفى عليهم ريح الصبا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره في يوم الإثنين نهباً، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من هو سبط نبي الهدى، بأبي محمد المصطفى، بأبي خديجة الكبرى، بأبي علي المرتضى عليه السلام، بأبي

فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، بأبي من ردت له الشمس وصلى».

قال الراوي: فأبكت والله كل عدو وصديق ثم إنّ سكينة اعتنقت جسد أبيها الحسين عليه السلام فاجتمعت عدة من الأعراب حتى جروها عنه.

* قال الراوي: ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين عليه السلام فيواطئ الخيل ظهره وصدره فانتدب منهم عشرة وهم: إسحاق بن حوبة، الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه؛ وأخنس بن مرثد، وحكيم بن طفيل السنبسي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خثيمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهاني بن شبث الحضرمي، وأسيد بن مالك (لعائن الله عليهم أجمعين). فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره.

قال الراوي: وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال أسيد بن مالك أحد العشرة عليهم لعائن الله:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر   بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره، قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة. قال أبو عمر الزاهد: فنظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زنا وهؤلاء أخذهم المختار فشد أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا.

* وروى ابن رياح قال: رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن ذهاب بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أنّي لم

أضرب ولم أرم فلما قتل رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الأخيرة ونمت فأتاني آتٍ في منامي فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه يدعوك، فقلت: ما لي وله، فأخذ بتلابيبي وجرني إليه، فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه أخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل أصحابي التسعة، فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً فدنوت منه، وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال:

«يا عدوّ الله، انتهكت حرمتي، وقتلت عترتي، ولم ترع حقّي، وفعلت ما فعلت؟».

فقلت: والله يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم، قال:

«صدقت، ولكن كثرت السواد، أدن مني».

فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً! فقال لي:

«هذا دم ولدي الحسين عليه السلام».

فكحلني من ذلك الدم، فانتهيت حتى الساعة لا أبصر شيئاً.

مرحلة السبي

* قال الراوي: ثم إنّ عمر بن سعد بعث برأس الحسين عليه السلام في ذلك اليوم وهو يوم عاشوراء مع خولي بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فنظفت

وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن لعنه الله وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدموا بها إلى الكوفة، وأقام بقية يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس ثم رحل بمن تخلف عن عيال الحسين عليه السلام وحمل نساءه صلوات الله عليه على إجلاس أقتاب الجمال بغير وطاء مكشفات الوجوه بين الأعداء وهن ودائع الأنبياء وساقوهن كما يساق سبي الترك والروم في أشد المصائب والهموم ولله در قائله:

يصلي على المبعوث من آل هاشم ويغزى بنوه إنّ ذا لعجيب

* وروي: أنّ رؤوس أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانت ثمانية وسبعين رأساً فاقتسمتها القبائل لتتقرب بذلك إلى عبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية لعنه الله فجائت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن باثني عشر رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن لعنه الله وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء باقي الناس بثلاثة عشر رأساً.

* قال الراوي: ولما انفصل عمر بن سعد لعنه الله عن كربلاء خرج قوم بني أسد فصلوا على تلك الجثث الطواهر المرملة بالدماء ودفنوها على ما هي الآن عليه، وسار ابن سعد بالسبي المشار إليه، فلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن.

قال الراوي: فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأُسارى أنتن..... نحن أُسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ..... فنزلت المرأة من

سطحها فجمعت لهن ملاء وأرزاً ومقانع وأعطتهن فتغطين.

* قال الراوي: وكان مع النساء الإمام علي بن الحسين عليه السلام قد نهكته العلة والحسن بن الحسن المثنى وكان قد واسى عمه وإمامه في الصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح وإنّما أتيت وقد أثخن بالجراح.

* وروى مصنف كتاب المصابيح: أنّ الحسن بن الحسن المثنى قتل بين يدي عمه الحسين عليه السلام في ذلك اليوم سبعة عشر نفساً وأصابه ثماني عشرة جراحة فوقع فأخذه خاله أسماء بن خارجة فحمله إلى الكوفة وداواه حتى برأ وحمله إلى المدينة وكان معهم أيضاً زيد وعمر ولدا الحسن السبط عليهم السلام فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون، فقال علي بن الحسين عليه السلام:

«تنوحون وتبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا».

* قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذ ولم أر خفرة والله أنطق منها كأنّها تفرع عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت:

«الحمد لله والصلاة وعلى أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلا الصف النطف، والصدر النشف وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن

سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم ومناز حجتكم ومدرة سنتكم ألا ساء ما تزرون وبُعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء ـ وفي بعضها ـ خرقاء شوهاء كطلاع الأرض، أو كملئ السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فإنّه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثأر وإنّ ربكم لبالمرصاد».

* قال الراوي: فو الله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي وقد اخضلت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأُمِّي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا يبزى.

* وروى زيد بن موسى قال: حدثني أبي عن جدي عليهم السلام قال:

«خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء فقالت: «الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ أولاده ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات، اللهم إنّي أعوذ بكم

أن أفتري عليك بالكذب، أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله فيه معشر مسلمة بألسنتهم تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتى قبضته إليك محمود النقيبة طيب العريكة معروف المناقب مشهور المذاهب لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم ولا عذاب عاذل هديته اللهم للإسلام صغيراً وحمدت مناقبه كبيراً ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته فهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت، ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، جعل فينا علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً، فكذبتمونا وكفرتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً كأننا أولاد ترك وكابل كما قتلتم جدنا بالأمس وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم قرت بذلك عيونكم، وفرصت توبكم، افتراء منكم على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة، في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، ﴿لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، تباً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب، فكان قد حل بكم

وتواترت من السماء نقمان فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ألا لعنة الله على الظالمين ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم وأية نفس نزعت إلى قتالنا أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا والله قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون فتباً لكم يا أهل الكوفة، أي تراث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلكم ودخول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب، جدي وببنيه وعترته الطيبين الأخيار فافتخر بذلك مفتخر فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي ... بسيوف هندية ورماح

وسبينا نساءهم سبي ترك ... ونطحناهم فأي نطاح

يكفيك أيها القائل الكثكث والأثلب افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله وأذهب عنهم الرجس، فاكظم وأقع كما أقعى أبوك قائماً لكل امرئ ما كسب وما قدمت يداه أحسدتمونا ـ ويلكم ـ على ما فضلنا الله:

فما ذنبنا أن جاش دهراً بحورنا ... وبحرك ساج ما يواري الدعا مصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

* قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا حسبك يا ابنة الطيبين فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت، قال: وخطبت أم كلثوم بنت علي عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلتها رافعة صوتها

بالبكاء، فقال: «يا أهل الكوفة سوأة لكم ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم وأي وزر على ظهوركم حملتم وأي دماء سفكتموها وأي كريمة أصبتموها وأي صبية سبلتموها وأي أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون».

ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأُمِّكم ... ستجزون ناراً حرها يتوقد
سفكتم دماء حرم الله سفكها ... وحرمها القرآن ثم محمد
ألا فابشروا بالنار إنّكم غدا ... لفي سقر حقاً يقيناً تخلدوا
وإنّي لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعد النبي سيولد
بدمع عزيز مستهل مكفكف ... على الخد مني دائماً ليس يحمد

* قال الراوي: فضج الناس بالبكاء والنوح ونشر النساء شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن وخمشن وجوههن وضربن خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكية أكثر من ذلك اليوم.

* ثم إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أومأ إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا، فقام قائماً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم صلى عليه ثم قال:

«أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه

بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أنا ابن من انتهكت حرمته، وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من قتل صبراً، وكفى بذلك فخراً؛ أيها الناس فأنشدكم الله هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه، فتباً لما قدمتم لأنفسكن، وسوءة لرأيكم، بأي عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أُمتي».

قال الراوي فارتفعت الأصوات من كل ناحية ويقول بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون فقال عليه السلام:

«رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته فإنّ لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة».

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنّا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذن يزيد لعنه الله ونبرأ ممن ظلمك فقال عليه السلام:

«هيهات هيهات، أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتدرون أن تأتوا إليّ كما أتيتم آبائي من قبل، كلا ورب الراقصات، فإنّ الجرح لما يندمل، قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثكل أبي وبني أبي وجده بين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصصه

تجري في فراش صدري ومسألتي أن تكونوا لا لنا ولا علينا».

* قال الراوي: ثم إنّ ابن زياد جلس في القصر للناس وأذن إذناً عاماً وجيء برأس الإمام الحسين عليه السلام فوضع بين يديه وأدخل نساء الحسين عليه السلام وصبيانه إليه فجلست زينب بنت علي عليه السلام متنكرة فسأل عنها فقيل زينب بنت علي عليه السلام فأقبل إليها فقال الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت: «إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا».

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك، فقالت: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن يكون الفلج يومئذ هبلتك أُمُّك يا بن مرجانة».

فقال الراوي: فضغب ابن زياد وكأنّه همّ بها، فقال له عمرو بن حريث إنّها امرأة والمراد لا تؤخذ بشيء من منطقها، فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: «لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فإنّ كان هذا شفاك فقد اشتفيت»، فقال ابن زياد: هذه سجاعة ولعمري لقد كان أبوك شاعراً وسجاعاً، فقالت: «يا بن زياد ما للمرأة والسجاعة».

* ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال من هذا؟ فقيل: علي بن الحسين، فقال: أليست قد قتل الله علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ فقال علي عليه السلام:

«قد كان لي أخ يقال له علي بن الحسين قتله الناس».

فقال: بل الله قتله، فقال علي عليه السلام:

{ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا } .

فقال ابن زياد: ألك جرأة على جوابي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه فسمعت به عمته زينب فقالت: «يا بن زياد إنّك لم تبق منا أحداً فإنّ كنت عزمت على قتله فاقتلني معه».

فقال علي عليه السلام لعمته:

«اسكتي يا عمة حتى أكلمه».

ثم أقبل، فقال:

«أبالقتل تهددني؟، يا بن زياد أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة».

* ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهله فحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم، فقالت زينب بن علي عليه السلام: «لا تدخلن عربية إلا أُم ولد أو مملوكة فإنّهن سبين كما سبينا»، ثم أمر ابن زياد برأس الإمام الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة.

* قال الراوي: ثم إنّ ابن زياد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب بن الكذاب فما زاد على الكلام شيئاً حتى قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي وكان من خيار الشيعة وزهادها وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل والأُخرى في يوم صفين وكان يلازم المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل، فقال: يابن زياد إنّ الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين!

قال الراوي: فغضب ابن زياد وقال: من هذا المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم يا عدو الله أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس وتزعم أنّك على دين الإسلام واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان رسول رب العالمين.

قال الراوي: فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه، وقال: عليّ به فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله، فقال ابن زياد: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد، أعمى الله قلبه كما أعمى عينه فأتوني به، قال: فانطلقوا إليه فلما بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم، قال: بلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم.

قال الراوي: فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل منهم جماعة من العرب، قال ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا عليه فصاحت ابنته: أتاك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليك ناوليني سيفي: قال فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه ويقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر ... عفيف شيخي وابن أُمِّ عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر ... وبطل جدلته مغاور

قال وجعلت ابنته تقول: يا أبت ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة، قال: وجعل القوم يدورون عليه من كل جهة

وهو يذب عن نفسه فلم يقدر عليه أحد، وكلما جاءه من جهة قالت: يا أبت جاؤك من جهة كذا حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به فقالت بنته: واذلاه، يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به فجعل يدير سيفه ويقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليك موردي ومصدري

قال الراوي: فما زالوا به حتى أخذوه، ثم حمل فأُدخل على ابن زياد فلما رآه قال الحمد الله الذي أخزاك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله وبماذا أخزاني الله:

والله لو فرج لي عن بصري ضاق عليك موردي ومصدري

فقال ابن زياد: يا عدو الله ما تقول في عثمان بن عفان، فقال: يا عبد بني علاج يابن مرجانة وشتمه ما أنت وعثمان بن عفان، أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصة بعد غصة، فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين أما إنّي قد كنت أسأل الله ربي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أُمُّك وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه فلما كف بصري يئست عن الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرفني الإجابة منه في قديم دعائي، فقال ابن زياد: اضربوا عنقه، فضربت عنقه وصلب في السبخة.

* قال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل

الإمام الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك؛ أما عمرو فحيث وصله الخبر صعد على المنبر وخطب الناس وأعلمهم ذلك فعظمت واعية بني هاشم وأقاموا سنن المصائب والمآتم وكانت زينب بنت عقيل بن أبي طالب عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتقول:

ماذا تقولون إنْ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهل بيتي بعد مفتقدي ... منهم أُسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلما جاء الليل سمع أهل المدينة هاتفاً ينادي:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعوا عليكم ... من نبي ومالك وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى صاحب الإنجيل

* وأما يزيد بن معاوية لعنه الله فإنّه لما وصله كتاب عبيد الله بن زياد لعنه الله ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه وحمل أثقاله ونسائه وعياله، فاستدعى ابن زياد بمحفر بن ثعلبة العائذي فسلم إليه الرؤوس والأسرى والنساء فصار بهم محفر إلى الشام، كما يسار بسبايا الكفار يتصفح وجوههن أهل الأقطار.

* فروى ابن لهيعة وغيره حديثاً أخذنا منه موضع الحاجة قال: كنت أطوف بالبيت فإذا برجل يقول اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبد الله اتق

الله ولا تقل مثل ذلك فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار فاستغفرت الله غفرها لك فإنّه غفور رحيم.

قال فقال لي: تعال حتى أُخبرك بقصتي فأتيته فقال: اعلم إنّا كنّا خمسين نفراً ممن سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام فكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا ولم أشرب معهم فلما جنّ الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً فإذا أبواب السماء قد فتحت ونزل آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعهم جبرائيل وخلق من الملائكة فدنا جبرائيل من التابوت وأخرج الرأس وضمه إلى نفسه وقبله ثم كذلك فعل الأنبياء كلهم وبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رأس الحسين عليه السلام وعزاه الأنبياء وقال له جبرائيل عليه السلام يا محمد إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أُمتك فإنّ أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط: فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا جبرائيل فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة».

ثم جاءت الملائكة نحونا ليقتلونا فقلت الأمان الأمان، يا رسول الله فقال:

«اذهب فلا غفر الله لك».

* قال الراوي: وسار القوم برأس الإمام الحسين عليه السلام ونسائه والأسرى من رجاله فلما قربوا من دمشق دنت أُمُّ كلثوم من شمر وكان من جملتهم فقالت له: «لي إليك حاجة»، فقال: ما حاجتك قالت: «إذا دخلت بنا

البلد فاحملنا في درب قليل النظارة، وتقدم عليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال» فأمر في جواب سؤالها أن يجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم باب دمشق فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

* قال الراوي: وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الموضع فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم، فقال له علي بن الحسين عليه السلام:

«يا شيخ هل قرأت القرآن؟».

قال: نعم، قال عليه السلام:

«فهل عرفت هذه الآية:

{ ...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى... }(١).

قال الشيخ: نعم قد قرأت ذلك فقال عليٌّ عليه السلام له:

«فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت في بني إسرائيل:

{ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ... }(٢).

فقال الشيخ قد قرأت، فقال علي بن الحسين عليه السلام:

«فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية:

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى... }[١].

قال: نعم، فقال له عليه السلام:

«فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت هذه الآية:

{ ...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[٢].

قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال عليه السلام:

«فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بآية الطهارة يا شيخ».

* قال الراوي: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال: بالله إنّكم هم، فقال علي بن الحسين عليهما السلام:

«تالله إنّا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الله إنّا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جن وإنس، ثم قال هل لي من توبة، فقال له عليه السلام:

«نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا».

فقال: أنا تائب فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

دخول السبايا على يزيد

* قال الراوي: ثم أُدخل ثقل الحسين عليه السلام ونساؤه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية لعنه الله وهم مقرنون في الحبال، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام:

«أُنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو رآنا على هذه الصفة».

فأمر يزيد بالحبال فقطعت.

* ثم وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه فرآه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام فلم يأكل بعد ذلك أبداً وأما زينب فإنّها لما رأته أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يفزع القلوب «يا حسيناه يا حبيب رسول الله يابن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يابن بنت المصطفى»، قال الراوي: فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد عليه لعائن الله ساكت.

* ثم جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد لعنه الله تندب على الإمام الحسين عليه السلام وتنادي يا حبيباه يا سيد أهل بيتاه يابن محمد يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء، قال الراوي: فأبكت كل من سمعها.

* ثم دعا يزيد عليه اللعنة بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد أتنكت بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام ابن فاطمة عليها السلام أشهد لقد رأيت النبي صلى الله

عليه وآله وسلم يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليهما السلام ويقول:

«أنتما سيدا شباب أهل الجنة فقتل اللّه قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً».

قال الراوي: فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأُخرج سحباً.

* قال وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم   وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

* قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام فقالت: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول الله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء أنّ بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور لديك متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى:

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ

لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}[(١)].

أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف ويستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وهتف بأشياخك، وزعمت أنّك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فلعت، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا فو الله ما فريت إلا جلدك ولا حزرت إلا لحمك ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما تحملت من سفك ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }[1].

وحسبك بالله حاكماً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خصيماً وبجرائيل ظهيراً وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك إنّي لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أُمهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد: فإلى الله المشتكى وعليه المعول فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلاّ عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشادة والرحمة ونسأل الله أنْ يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل».

* فقال يزيد لعنه الله:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون النوح على النوائح

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

قال الراوي: ثم استشار أهل الشام فيما يصنع بهم، فقالوا لا تتخذن من كلب سوء جرواً، فقال النعمان بن بشير: انظر ما كان الرسول يصنع بها فاصنعه بهم.

* فنظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها: يا عمتاه أوتمت وأستخدم؟ فقالت زينب: «لا ولا كرامة لهذا الفاسق» فقال الشامي: من هذه الجارية؟ فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين وتلك زينب بن علي بن أبي طالب فقال الشامي: الحسين ابن فاطمة عليهما السلام وعلي بن أبي طالب عليه السلام! قال: نعم فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته والله ما توهمت إلا أنّهم سبي الروم! فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضُربت عنقه.

* قال الراوي: ودعا يزيد بالخطيب وأمره أن يصعد المنبر فيذم الحسين وأباه عليهما السلام فصعد وبالغ في ذم أمير المؤمنين والحسين الشهيد عليهما السلام والمدح لمعاوية ويزيد عليهما لعائن الله فصاح به الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«ويلك أيها الخطيب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار».

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي في وصف أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

أعلى المنابر تعلنون بسبّه ... وبسيفه نصبت لكم أعوادها

* قال الراوي: ووعد يزيد لعنه الله علي بن الحسين عليهما السلام في ذلك اليوم أنّه يقضي له ثلاث حاجات ثم أمر بهم إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد فأقاموا به حتى تقشرت وجوههم وكانوا مدة إقامتهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين عليه السلام.

* قالت سكينة فلما كان في اليوم الرابع من مقامنا رأيت في المنام رؤيا وذكرت مناماً طويلاً في آخره رأيت امرأة راكبة في هودج ويدها موضوعة على رأسها فسألت عنها فقيل لي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم أُم أبيك فقلت والله لأنطلقن إليها ولأخبرها ما صُنع بنا فسعيت مبادرة نحوها حتى لحقت بها فوقفت بين يديها أبكي وأقول يا أماه جحدوا والله حقنا يا أماه بددوا والله شملنا يا أماه استباحوا والله حريمنا يا أماه قتلوا والله الحسين عليه السلام أبانا، فقالت لي: كفي صوتك يا سكينة فقد قطعت نياط قلبي هذا قميص أبيك الحسين عليه السلام لا يفارقني حتى ألقى الله به.

* قال وخرج الإمام زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق فاستقبله المنهال بن عمرو فقال له: كيف أمسيت يابن رسول الله؟ قال أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمداً منها وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون، فإنّا لله وإنّا غليه راجعون مما أمسينا فيه، يا منهال ولله در مهيار حيث قال:

يعظمون له أعواد منبره ... وتحت أرجلهم أولاده وضعوا

بـــأي حكـــم بنـــوه يتبعـــونكم وفخـــركم أنّكـــم صـــحب لـــه تبـــع

* ودعا يزيد عليه لعائن الله يوماً بعلي بن الحسين عليه السلام وعمرو بن الحسين عليه السلام وكان عمرو صغيرا يقال إنّ عمره إحدى عشرة سنة، فقال له: أتصارع هذا يعني ابنه خالداً؟ فقال له عمرو: لا ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله، فقال يزيد (لع):

شنـــشة أعرفهـــا مـــن أخـــزم هـــل تلـــد الحيـــة إلا الحيـــة

وقال لعلي بن الحسين عليه السلام: أذكر ما حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن فقال له:

«الأولى: أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين عليه السلام فأتزود منه، والثانية: أن تردّ علينا ما أُخذ منّا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن صلى الله عليه وآله وسلم».

قال له يزيد: أما وجه أبيك فلا تراه أبداً، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فما يردهن غيرك على المدينة، وأما ما أُخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته فقال عليه السلام:

«أما مالك فما نريده فهو موفر عليك وإنّما طلبت ما أُخذ منا لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومقنعتها وقلادتها وقميصها فأمر برد ذلك، وزاد فيه من عنده مائتي دينار فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرقها في الفقراء.

* ثم أمر برد الأُسارى وسبايا الإمام الحسين عليه السلام إلى أوطانهن بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأما رأس الإمام الحسين عليه السلام فروى أنّه أُعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف عليه السلام وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه، ورويت آثار كثيرة مختلفة.

* قال الراوي: لما رجع نساء الإمام الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل مُرّ بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً.

* روى عن أبي حباب الكلبي قال حدثنا الجصاصون قالوا: كنا نخرج إلى الجبانة في الليل عند مقتل الحسين عليه السلام فنسمع الجن ينوحون عليه فيقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود

أبواه من أعلى قريش وجده خير الجدود

* قال الراوي: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة قال بشر بن حذلم: فلما قربنا منها أنزل الإمام علي بن الحسين عليه السلام فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال:

«يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه».

فقال: بلى يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّي شاعر فقال عليه السلام:

«أدخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام».

* قال بشر فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها	قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بلكربلاء مضرج	والرأس منه على القناة يدار

قال ثم قلت هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أُعرفكم مكانه، قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن ضاربات خدودهن يدعون بالويل والثبور فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمر على المسلمين منه وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيدي ناعٍ نعاه فأوجعا	وأمرضني ناعٍ نعاه فأفجعا
فعيني جودا بالدموع وأسكبا	وجودا بدمع بعد معكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا	فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه	وإن كان عنا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام وخدشت منا قروحاً لما تندمل فمن أنت رحمك الله فقلت: أنا بشر بن حذلم وجهني مولاي علي

ابن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا، مع عيال أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونسائه، قال فتركوني مكاني وبادروني فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان والجواري والناس يعزونه من كل ناحية فضجت تلك البقعة ضجة شديدة.

* فأومأ عليه السلام بيده أن اسكتوا فسكنت فورتهم فقال:

«الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظائم الأُمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة أيها القوم إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته وسبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية التي لا مثلها رزية، أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائنا والسماوات بأركانها، ولجج البحار

والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون، أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحن إليه أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم، أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين وشاسعين عن الأمصار كأنّا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هذا إلا اختلاق والله لو أنّ النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا فإنّه عزيز ذو انتقام».

* قال الراوي: فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان وكان زمناً فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه فأجابه بقبول معذرته وحسن الظن فيه وشكر له وترحم على أبيه.

* ثم إنّه عليه السلام رحل إلى المدينة بأهله وعياله ونظر إلى منازل قومه ورجاله فوجد تلك المنازل تنوح بلسان أحوالها وتبوح بإعلال الدموع وإرسالها لفقد حماتها وتندب عليهم ندب الثواكل وتسأل عنهم أهل المناهل وتهيج أحزانه على مصارع قتلاه وتنادي لأجلهم واثكلاه وتقول يا قوم اعذروني على النياحة والعويل وساعدوني على المصاب الجليل، فإنّ القوم الذين أندب لفراقهم وأحن إلى كرم أخلاقهم كانوا سمار ليلي ونهاري وأنوار ظلمي وأسحاري وأطناب شرفي وافتخاري وأسباب قوتي وانتصاري والخلف من شموسي وأقماري، كم ليلة شردوا

بإكرامهم وحشتي وشيدوا بأنعامهم حرمتي وأسمعوني مناجات أسحارهم وأمتعوني بإبداع أسرارهم وكم يوم عمروا أن نعي بمحافلهم وعطروا طبعي بضائلهم وأورقوا عودي بماء عهودهم وأذهبوا نحوسي بماء سعودهم وكم غرسوا لي من المناقب وحرسوا محلي من النوائب وكم أصبحت بها أتشرف على المنازل والقصور وأميس في ثوب الجذل والسرور وكم أعاشوا في شعابي من أموات الدهور وكم انتاشوا على أعتابي من رفات المحذور فاقصدني فيهم منهم الحمام وحسدني عليهم حكم الأيام فأصبحوا غرباء بين الأعداء وغرضاً لسهام الاعتداء وأصبحت المكارم تقطع بقطع أناملهم والمناقب تشكو لفقد شمائلهم والمحاسن تزول بزوال أعضائهم والأحكام تنوح لوحشة أرجائهم فيا لله من ورع أريق دمعه في تلك الحروب وكمال نكس علمه بتلك الخطوب ولئن عدمت مساعدة أهل العقول وخذلني عند المصائب جهل العقول فإنّ لي مسعداً من السنن الدارسة والأعلام الطامسة فإنّها تندب كندبي وتجد مثل وجدي وكربي فلو سمعتم كيف ينوح عليهم لسان حال الصلوات ويحن عليهم إنسان الخلوات وتشتاقهم طويلة المكارم وترتاح إليهم أندية الأكارم وتبكيهم محاريب المساجد وتناديهم مآريب الفوائد لشجاكم سماع تلك الواعية النازلة وعرفتم تقصيركم في هذه المصيبة الشاملة بل لو رأيتم وحدتي وانكساري وخلو مجالسي وآثاري لرأيتم ما يوجع قلب الصبور ويهيج أحزان الصدور لقد شمت بي من كان يحسدني من الديار وظفرت بي أكف الأخطار فياشوقاه إلى منزل سكنوه ومنهل أقاموا عنده واستطونوه ليتني كنت إنساناً أفديهم حز السيوف وأدفع عنهم حر الحتوف وأشفي غيظي من السنان وأرد عنهم سهام العدوان وهلا إذا فاتني شرف تلك المواساة

الواجبة كنت محلاً لضم جسومهم الشاجة وأهلاً لحفظ شمائلهم من البلى ومصوناً من لوعة هذا الهجر والقلى، فآه ثم آه لو كنت مخطاً لتلك الأجساد ومحطاً لنفوس أولئك إلا جواز لبذلت في حفظها غاية المجهود ووفيت لها بقديم العهود وقضيت لها بعض الحقوق الأوائل ووقيتها من وقع الجنادل وخدمتها خدمة العبد المطيع وبذلت لها جهد المستطيع، فرشت لتلك الخدود والأوصال فراش الإكرام والإجلال، وكنت أبلغ منيتي من اعتناقها وأنور ظلمتي بإشراقها فيا شوقاه إلى تلك الأماني ويا قلقاه لغيبة أهلي وسكاني فكل حنين يقصر عن حنيني وكل دواء غيرهم لا يشفيني، وها أنا قد لبست لفقدهم أثواب الأحزان وآنست بعدهم بجلباب الأشجان وأيست أن يلم في التجلد والصبر وقلت يا سلوة الأيام موعدك الحشر ولقد أحسن ابن قتيبة وقد بكى على المنازل المشار إليها فقال:

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم بزعمي تخلف

ألا إنّ قتلى الطف من آل هاشم ... أذلت رقاب المسلمين فذلت

وكانوا غياثاً ثم أضحوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاء اقشعرت

فاسلك أيها السامع بهذا المصاب ... مسلك القدوة من حماة الكتاب

* وقد روى عن مولانا زين العابدين عليه السلام وهو ذو الحكم الذي لا يبلغه الوصف إنّه كان كثير البكاء لتلك البلوى وعظيم البث والشكوى.

فروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره، وقائماً ليله فإذا حضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كُل يا مولاي فيقول: قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جائعاً، قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبتل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدوعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزّ وجلّ».

وحدث مولى له: أنّه برز يوماً إلى الصحراء قال فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت عليه ألف مرة يقول:

«لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً».

ثم رفع رأسه من سجوده وإنّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل؟ فقال لي:

«ويحك إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كان نبياً ابن نبي له إثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي وها أنا أتمثل وأشير إليهم صلوات الله عليهم فأقول:

مـــن مخـــبر الملبـــسينا بـــانتزاحهم ثوبـــاً مـــن الحـــزن لا يبلـــى ويبلينـــا

إنّ الزمـان الـذي قـد كـان يـضحكنا بقـــربهم صـــار بـــالتفريق يبكينـــا

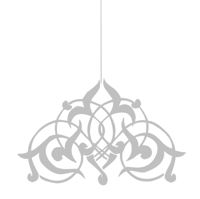
حالـــت لفقـــدهم أيامنـــا فغـــدت ســـوداً وكانـــت بهـــم بيـــضاً ليالينـــا

وها هنا منتهى ما أوردناه وآخر ما قصدناه ومن وقف على ترتيبه ورسمه مع اختصاره وصغر حجمه عرف تميزه على أبناء جنسه وفهم فضيلته في نفسه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين.



الفصل الثاني

تحليل لبعض جوانب الثورة الحسينية المقدسة



المبحث الأول: كيف نفهم تجدد عاشوراء

إنّ ذكرى عاشوراء قد تكررت أكثر من (١٣٧٠) مرّة لحد كتابة هذه الحروف، وأي ذكرى، فذرفت لها دموع العيون وبقدر تلك الدموع سكب الحبر على الورق نثراً وشعراً ليوضح بعض جوانب تلك الذكرى، ضربت الرؤوس ولدمت الصدور واعتليت المنابر وعقدت المجالس..... فهل هذه الذكرى هي مجرد ذكرى ونوع من أنواع الوفاء لها كمصيبة أو تضحية أو للتمجيد والافتخار بها كما هو الحال لغالب ذكريات الأشخاص والعوائل والقبائل والأُمم والشعوب....؟ أم هنالك مقاصد لهذه الذكرى تكون أكثر وعياً ونفعاً مما ذكرت..؟

والجواب.. نعم هنالك مقاصد لإعادة ذكراها، بمعنى يجب أن تكون هنالك مقاصد غير التقليدية، ويجب أن تتمثل بأرقى المقاصد مرتبة وأعلاها درجة وتتلاءم معها شرفاً، وهي إن لم تكن مقصودة فيجب أن تقصد.

ووجوب هذا القصد أيضاً ناتج من فلسفة الإسلام لكل حركة أو سكنة يقوم بها المسلم، حيث إنّ نقطة الافتراق الأساسية في فهم وتقييم العمل ما بين

الإسلام وباقي الإيديولوجيات هي أنّ الإسلام يعطي قيمة العمل بمقدار دوافعه، فكلما كانت دوافع العمل نبيلة كان العمل كذلك قوة وضعفاً ولهذا ورد بأنّ الأعمال بالنيات وللمرء ما نوى، بينما يرى غير المسلم بأنّ هذه القيمة للعمل تدور مدار المنافع لا الدوافع، وهي طبعاً نظرة مادية للأشياء ومجردة من الروح المعنوية التي هي من أهم أركان هذا الوجود وطالما حاول بعض الأفراد والإيديولوجيات والحركات إثبات عدم وجودها أو الغاء ذلك الوجود على النحو العملي إلا أنّهم يصارعون طبعاً كونياً قاهراً...!

وعليه فمن الضروري أن تكون جميع حركات وسكنات المسلم مقصودة ومحددة النوايا وإلا فبنيان المسجد هو نفس البنيان ولكن كم فرّق القرآن الكريم بين المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم ومسجد ضرار.

والنوايا الصالحة والنبيلة كثيرة ومتعددة بتعدد الأشخاص وعلى المرء أن يجتهد في اقتناص أعلى وأخلص النوايا في أي عمل يقوم به.

وعليه سوف نعطي إن شاء الله نوايا صالحة أو قل فلسفات ومفاهيم تصلح أن تكون علة لتكرار وتجدد عاشوراء على مرّ السنين وعلينا أن نقصدها أو نقصد غيرها ولتكون رداً على المتعضين من هذا التجدد وهذا التكرار: ومن هذه المقاصد.

أولاً: من باب سريان القانون الإسلامي الذي تعمل عليه جل الأعمال والعبادات الإسلامية والقاضي بتكرارها ما دام الإنسان حياً، كالصلاة والصوم والزكاة.. الخ، فبعض العبادات تتكرر بتكرر الزمان (كالصلاة والصوم) وبعضها بتكرر المكان (كأعمال الحرم المكي أو بعض الأماكن المشرفة) وبعضها بتكرر

الزمان والمكان معاً (كالحج) وبعض بتكرر الحال (كالزكاة وشكر النعمة والاستغفار...).

وهذا القانون هو قانون (التزوّد) الذي أتحفتنا به الآية المباركة ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ ، هذا القانون الإسلامي والأصل العبادي الحاكم لجل الأعمال والعبادات الإسلامية، ومن الممكن أن نفهم التزود على مستويين:

المستوى الأول

التزود على نحو التحلي بعد التخلي، ومثله كمثل السيارة التي تتزود بالوقود كلما نفد من خزانها منه، وعندها تكون العبادات هي بمثابة خيط اتصال رفيع لربط الإنسان بمبدئه ولا تجعله يفلت منه، وهي نحو من المساعدة واللطف الإلهي للعبد وعلاقته مع ربه.

ولكن لا نتوقع من هذا النوع من التزود درجات وكمالات عالية، وهذا مستوى متدنٍ إذا ما قارناه مع المستوى الآخر، وإذا ما طبقناه على القضية الحسينية لتعني الذكرى مجرد محاولة للاتصال بهذه القضية ولو بشكل بسيط ومحاولة قدحها بالضمير لا أكثر وعندها لا نتوقع الحصول على نتائج وثمرات منها.

المستوى الثاني

التزود على نحو التحلي بعد التحلي، بمعنى الاستزادة والإكثار والتجميع والتراكم، وهذا المستوى أرقى وأعلى من سابقه، وبه يتم الحصول على الهدف من وراء المبدأ والغاية التي جاء من أجلها، فتكرار الصلاة مثلاً تكون زيادة للإيمان وطوياً لدرجات القرب الإلهي، ولعل كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد عنه بما

مضمونه «من تساوى يوماه فهو مغبون» لإشارة واضحة في هذا المعنى، فتجدد عاشوراء يكون عبارة عن إصرار على مبدأ رفض الظلم بل وزيادة في الاعتقاد به والسعي لتطبيقه خارجاً وواقعاً، والتكرار هنا يكون نوعاً من أنواع العدة اللازمة من القوة القادرة على تحقيق أهداف الطف.

المستوى الثالث

أنّ نفهم أن تجدد ذكرى عاشوراء على هذا النحو من الألم والحزن وإدرار الدموع ولدم الصدور، وارتفاع الأصوات بالويل والنحيب، لهي دلالة واضحة على عدم اكتمال الأهداف التي توجه بها الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، لم تنتصر الثورة على مستوى أهم الأهداف والتي تتمثل بإصلاح المجتمع بأعلى مستوياته، أي ملء الأرض بالقسط والعدل وتحقيق العبادة الكاملة لله جلّ وعلا، وإن انتصرت على مستويات أُخرى كحفظ الدين وفضح المنافقين.... الخ، وعليه دعوني أحتمل بأنّ ذكرى عاشوراء في عصر ظهور الإمام وبسط دولته المباركة ستكون من نوع آخر ومطعّمة بابتهاجات النصر والأفراح بدل إشارات الحزن والأتراح.

ولابد من الإشارة إلى أنّ المؤمن ممكن بل عليه أن يتزود بعاشوراء (بمستوييه السابقين) أو يعيش حالة التجدد بمفهومه الثاني خلال جميع أيام عمره ومتغيرات حياته، بمعنى عدم الاقتصار على ذكرى عاشوراء في أيام محرم أو صفر، نعم التذكر على مستوى الشعائر الحسينية المعروفة تكون في ذلك الزمان وأما التذكر على مستوى وعي الثورة الحسينية واستنشاق أهدافها والعمل على تحقيقها فإنّها تحتاج إلى العمر كله، ومن هنا نفهم المقولة المأثورة (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء).

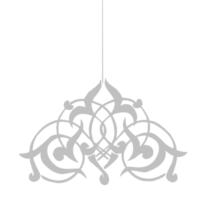
من مصاديق الإحياء الواعي لمناسبات أهل البيت عليهم السلام

لا شك أنّ إحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام تختلف باختلاف ثقافة الفرد ومستوى تفكيره وإيمانه، فالبعض يرى أنّ الإحياء يكون بحضور مجالسهم وآخر بزيارتهم صلوات الله عليهم وآخر بإطعام الطعام... الخ، إلا أنّ ثمة فكرة نريد أن نطرحها هنا لتكون شكلاً من أشكال الإحياء وهو كما قلنا يختلف باختلاف الأشخاص.

ملخص الفكرة هو أنّنا لو مرت بنا مناسبة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً، فبالإضافة إلى الاحتفاء بذلك اليوم من ذلك العام المسمى بعام الفيل وما جاد على الكون به من ولادة أشرف وأكمل الكائنات، علينا أن نولّد في أنفسنا خُلقاً محمدياً أو أمراً قد أمر به أو نهياً قد نهى عنه ونحتفل بتلك الولادة الجديدة في أنفسنا ونحاول أن نحافظ على هذا المولود الجديد، وهكذا بالنسبة إلى العام المقبل علينا أن نحتفي بمولود محمدي جديد، وهكذا بالمولود العلوي والفاطمي والحسني.... .

وكذلك بوفياتهم صلوات الله عليهم فعلينا أن نميت خُلقاً لا يرضونه أو نقلع عن عمل قد نهوا عنه.

فسنحصل في العام الواحد بما لا يقل عن (١٤) خُلقاً ممدوحاً مولوداً و(١٤) خُلقاً سيئاً قد انتهى ولمدة خمسين عاماً فستكون لنا مئات الأخلاق الحميدة بل الآلاف، وهذا ما يريده منا الله جلّ وعلا ورسوله وأهل البيت عليهم السلام وهذا مصداق الأُسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصداق للإحياء الواعي بمناسباتهم عليهم السلام.



المبحث الثاني: واقعة كربلاء.... ثورة أم معركة....؟

لابد للمجيب عن سؤال البحث الذي تضمنه عنوانه أن يضع الفوارق أولاً بين الثورة والمعركة ثم بعد ذلك يضع واقعة الطف في الميزان العلمي ويخرج بالنتيجة.

هناك عدّة فوارق بين كلٍّ من المعركة والثورة، إلا أنّنا سنركز على أهمها:

الفارق الأول

الثورة تعني عملية هيجان وإثارة طرف وإحساس بمظلومية أو غبن واقع عليه من قبل آخر لا يحمل هذه الصفة، وعندها تكون كلٌّ من الإثارة والمظلومية هي المحرك الأساسي، بينما المعركة لا تكون عادة كذلك وتعني الحرب وتقع بين طرفين يحملان نفس صفات ولوازم تلك الحرب، وعندها يكون الإحساس بالقوة وحب الغلبة والأثرة هو المحرك الأساسي.

الفارق الثاني

هدف الثورة عادة هو تغيير وضع قائم وإصلاح ظرف معين، بينما المعركة تستهدف عادة الاستئصال وإلغاء الآخر ومحاولة إفساده.

الفارق الثالث

الثورة عادة تقع بين (مستأثر) بكسر الثاء و(مستأثر) بفتح الثاء، بينما المعركة قد تقع بين مستأثرين متنافسين.

الفارق الرابع

سلاح الثورة يختلف عن سلاح المعركة، فالأول عادة يشمل قوة وحجة الحق الذي ينطلق به وحالة الفور والاندفاع العاطفي، بينما سلاح المعركة هو العدة والعدد المادي على الأغلب. بالإضافة إلى أنّ المعركة قد تكون آلية من آليات الثورة التي تستخدمها.

إذن وبعد معرفة النقاط التالية نستطيع أن نحكم على النهضة الحسينية بأنّها ثورة أم معركة من خلال:

١. المطلب العام للإمام الحسين عليه السلام

إنّ الإمام عليه السلام أعلن منذ اللحظة الأولى لتحركه بأنّه يريد الإصلاح في أُمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يريد أن ينقذ الإسلام من راعٍ كيزيد، أعلن أنّه ليس أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً في خروجه. لم يطلب قتل الآخر بل إصلاحه، ليس من شأنه استئصال العضو المريض بل علاجه، وهذه مواصفات الثورة والتغيير لا المعركة وما تتضمنه من إسراف وتقتير.

٢. جاء عليه السلام ناصراً لا طالباً للنصرة

خرج الإمام الحسين عليه السلام للكوفة وليس لكربلاء، كان متوجهاً إلى أصحاب الرسائل الذين استاءوا من الوضع الذي وصل إليه الإسلام والمسلمين، ثم بعد أن يصل إلى هناك يتخذ القرار المناسب في حينها من حيث الطريقة والآلية اللازم اتباعها في تحقيق الهدف.

٣. حركة مستندة على أقل التقادير إلى معاهدة

إنّ بيعة يزيد هي استئثار بني أُمية بالحكم وتحويله إلى ملك بالوراثة بحيث أعلنوا البيعة ليزيد أو القتل للممتنع. وهذا بغض النظر عن كونه مخالفاً لثوابت الإسلام، فإنّه مخالف لوثيقة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام والمتضمنة انتقال الخلافة إلى بيت النبوة.

٤. الأسلحة التي توجه بها الإمام الحسين عليه السلام

وهذا الفارق هو من أقوى الأدلة على ثورية الحركة الحسينية وأنّه لم يتوجه إلى حرب أو قتال، فالإمام الحسين عليه السلام شارك في العديد من الحروب التي جرت سواء داخل الإطار الإسلامي أو خارجه، وهو قائد حرب وابن أكبر قادة الحروب، يعرف جيداً ما تحتاج إليه الحروب عادة، يدرك أن للنصر التقليدي مقومات لابد من استحصالها قبل الخوض. إلا أنّه أراد أنّ يرسخ مقومات نهضته من خلال عدة أُمور ومنها أسلحته التي توجه بها إلى العراق. ونستطيع أن نلخص الأسلحة التي استخدمها في نهضته المباركة بأربعة أنواع هي:

* السلاح العقلي البرهاني.

* السلاح العاطفي الوجداني.
* السلاح الغيبي الإعجازي.
* سلاح الأصحاب.

١. السلاح العقلي البرهاني

فنقصد به الأسباب التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام والنتائج والثمرات التي أرادها سلام الله عليه، أي فلسفة حركته المباركة، وهذا نستطيع معرفته من خلال خطبه وكلماته التي أطلقها من أول عزمه على الثورة وإلى النتائج التي ما نزال نقتطفها إلى هذه اللحظة. نذكر منها:

*** عدم أهلية يزيد للمبايعة**

حيث أعلن عليه السلام أنّه لا يبايع يزيد أبداً وبأي حال من الأحوال، وبيّن هذا الأمر على أنّه مبدأ لا يمكن تجاوزه، فقد قال للوليد بن عتبة بن أبي سفيان والذي كان الوالي الأُموي على المدينة عندما طلب من الإمام مبايعة يزيد: «..... ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، وقاتل النفس المحرمة، معلن للفسق ومثلي لا يبايع لمثله....»، ويقول عليه السلام «على الإسلام السلام إذ قد بليت الأُمة براعٍ مثل يزيد».

ومما قاله لأخيه محمد ابن الحنفية «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً»(١).

---

(١) الفتوح: ج٥، ص٢١.

*** طلب الإصلاح**

وأعلن هذا الأمر في وصيته التي تركها لأخيه محمد ابن الحنفية حيث جاء فيها «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي وأبي علي بن أبي طالب....» وله كلام آخر عليه السلام في وصف الحال الذي وصلت إليه الأُمة «... ألا ترون الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً...».

*** استجابة لكتب أهل الكوفة**

فعندما علم أهل الكوفة بموت معاوية لعنه الله وخبر امتناع الحسين عليه السلام لمبايعة يزيد وخروجه إلى مكة، اجتمع المؤمنون في الكوفة في دار سليمان بن صرد الخزاعي وتناقشوا في الأمر واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين عليه السلام، وتعددت هذه الكتب وأرسلت إلى الإمام عليه السلام حيث بلغت ١٢٠٠ كتاب وهي تنطوي على الاستبشار بهلاك معاوية والاستخفاف بيزيد وطلب قدومه إليهم والتعهد ببذل النفس والنفيس دونه وأنّ معك يابن رسول الله مئة ألف جندي، وكذلك بعض أهل البصرة، فبعث الإمام عليه السلام ابن عمه مسلم بن عقيل سلام الله عليه إلى الكوفة ليستطلع أمرها ويخبره، فبعث إليه مسلم كتاباً يتضمن الإسراع في الإقبال إلى الكوفة لكثرة الناصر. وقد حاجج عليه السلام أصحاب الحر في هذه الكتب حيث قال لهم «وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني...».

*** عدم استباحة حرمة الكعبة**

ومن بين المبادئ التي أعلنها عليه السلام عندما سأله عبد الله بن الزبير وغيره عن سبب الخروج فقال «فأنا ميت على أي حال سواء بقيت في مكة أو خرجت منها، ومن الأفضل أن لا أُقتل في مكة لكي لا تنتهك بذلك حرمة هذا الحرم الشريف».

*** كسر حاجز انعدام الإرادة في الأمة**

وهو المرض الذي منيت به الأُمة أيام حكم بني أُمية عليهم لعائن الله، وهذا ما أكده الفرزدق عندما التقى بالإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق بعدما سأله الإمام عليه السلام عن حال الناس خلفة فقال (قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أُمية، والقضاء ينزل من السماء).

*** وجود السلطان الجائر**

وأوضح هذا السبب في إحدى خطبه «... أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله...».

*** رفض الذلة**

فقال عليه السلام: «ألا إنّ الدعي ابن الدعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت

وجحور طهرت...» وقال عليه السلام عندما قيل له أن ينزل على حكم يزيد «لا والله لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد».

هذه الأسباب وغيرها جعلت في يد الحسين عليه السلام الحجة الدامغة وهو يتقدم في ثورته المباركة.

٢. السلاح العاطفي الوجداني

وهذا السلاح الثاني الذي تميزت به الثورة الحسينية، سلاحٌ أراد منه عليه السلام أن يكون مؤثراً في الجيش المقابل ومغيراً لحالهم. ومن أفراد هذا السلاح:

*** مصاحبته لعياله وأهل بيت النبوة**

وبهم أراد عليه السلام أن يباهل معسكر ابن زياد وأن يحفظوا بهم حرمة الدين وحرمة الإنسان وأن يرجعوا إلى عقولهم ويعتبروا بالسبب الذي من أجله يضحي الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وأهل بيته. فمما قاله عليه السلام لأُمّ سلمة (رض): «يا أماه، قد شاء الله عزّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء الله أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً»[1].

*** تقلده لآثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**

فلبس عليه السلام عمامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحمل سيفه

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣١.

ودرعه وركب من جياده ونبههم بذلك، أراد أن يوصل لهم رسالة تتضمن بأنّه عليه السلام يمثل الامتداد الطبيعي للنبوة إلا أنّه قد أسمعت له ناديت حياً، ومما قاله لهم «أما بعد... فانسبوني فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وابن وصيه وابن عمه؟....».

*** رأفة الحسين عليه السلام معهم**

أظهر عليه السلام كل ما تتخلق به شخصيته من رأفة وشفقة وحب للآخرين، فبكى عليهم وسقى بعض رجالهم ماءً، أبى أن يبدأهم بقتال، لم تنقطع نصائحه لهم من خلال كلماته وخطبه ومواعظه ولكن كانوا قوماً لا يفقهون.

*** هتافات الحسين عليه السلام وشعاراته المؤثرة**

فتعالت صرخات أبي الضيم في سماء كربلاء وستبقى مدوية إلى أن يلقى الله بدمه مخضباً، نداءات أبكت ملائكة السماء، أدمت الحجر والمدر ولكنها لم تلق صدىً في قلوب الظالمين. ومن نداءاته «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله، هل من موحد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا...»، ويروى أنّه قال بعد أن خضب رأسه ولحيته بدمه الطاهر «هكذا ألقى الله مخضباً بدمي، مغصوباً على حقي».

٣. السلاح الغيبي الإعجازي

وهو سلاح الأنبياء، سلاح طالما دعمته السماء في توصيل رسالتها إلى

الأرض، نقشت الثورة الحسينية على صفحاتها سطوراً نيرة خطت بماء الذهب من الكرامات وخرق العادات لتكون سلاحاً آخر عسى أن يؤثر في أُناس أبوا إلا أن ينصروا الباطل ويخذلوا الحق، لم يبخل عليهم بهذهِ الحجج قبل وأثناء وبعد الثورة عسى أن تهديهم إلى سواء السبيل، نذكر فيما يلي قسماً منها:

* **إنّه أمر من الله عزّ وجلّ**

وهذا ما بينه عليه السلام في أكثر من مناسبة ومنها ما روي عنه عندما جاء إليه الأوزاعي محاولاً ثني الإمام عن عزمه «مرحباً بك يا أوزاعي، جئت تنهاني عن المسير، وأبى الله عزّ وجلّ إلا ذلك، إنّ من ها هنا إلى يوم الإثنين منيتي (مبعثي)»[1].

* **الإخبار الغيبي عن الواقعة من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**

في تاريخ ابن عساكر ومجمع الزوائد وتاريخ ابن كثير وغيرها واللفظ للأول عن زينب بنت جحش: قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وحسين عندي حين درج، فغفلت عنه، فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: دعيه ـ إلى قولها ـ ثم قام فصلّى فلمّا قام احتضنه إليه فإذا ركع أو جلس وضعه ثم جلس فبكى، ثم مد يده فقلت حين قضى الصلاة: يا رسول الله إنّي رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك تصنع؟ فقال: «إنّ جبرائيل أتاني فأخبرني أنّ هذا تقتله أُمتي، فقلت: فأرني تربته، فأتاني بتربة حمراء[2].

---

(١) دلائل الإمامة: ١٨٤، ج٢، ص١٠٢.

(٢) نقلاً عن كتاب خير الأصحاب لعبد الهادي عبد الحميد الصالح.

وكذلك ما نقله عبد الله بن عمر بن الخطاب عندما أراد أن يثني الإمام عن عزمه بالتوجه إلى الكوفة، فما قاله للإمام: فإنّي قد سمعت رسول الله صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «حسين مقتول ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة»[١].

*** جنود السماء**

ذكر ابن طاووس في سفره الخالد (اللهوف على قتلى الطفوف) أنّه روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الإمامي في كتاب دلائل الإمامة قال (حدثنا محمد بن سفيان بن وكيع عن أبيه وكيع عن الأعمش قال: قال أبو محمد الواقدي وزرارة بن خلج لقينا الحسين بن علي عليهما السلام قبل أن يخرج إلى العراق فأخبرناه ضعف الناس بالكوفة وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلا الله عزّ وجلّ فقال لولا تقارب الأشياء وهبوط الأجل لقاتلهم بهؤلاء ولكن أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي عليٌّ عليه السلام».

*** دم الرضيع**

روي عن الإمام الباقر عليه السلام وهو يتحدث عن دم عبد الله الرضيع عليه السلام الذي رماه الإمام الحسين عليه السلام نحو السماء بعد امتلاء كفيه منه بأنّه لم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

---

(١) مع الركب الحسيني للطبسي: ج٢، ص٢٩٣.

*** استجابة الدعاء**

قام رجل من أصحاب عمر بن سعد فصاح في معسكر الحسين: أفيكم حسين؟ قالوا: نعم، فقال: أبشر يا حسين بالنار؟ فقال عليه السلام: «أبشر برب رحيم وشفيع مطاعٍ من أنت؟» قال: ابن حويزة، قال عليه السلام: «اللهم حزه إلى النار»، قال الراوي: فنفرت به الدابة، فتعلقت رجله بالركاب، فو الله ما بقي عليها إلا رجله(١).

*** غبرة سوداء وريح حمراء**

روي أنّه عند مقتل الإمام الحسين عليه السلام ارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر حتى ظن القوم أنّ العذاب قد جاءهم فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم.

ويذكر ابن حجر العسقلاني صاحب كتاب (الصواعق المحرقة) ما نصّه (وكان من مظاهر غضب الله لمقتل الحسين عليه السلام أن اسودت السماء وشوهدت النجوم بالنهار وحاق عذاب الله بكل من اشترك في دمه)(٢).

*** ذهاب البصر**

روي أنّ رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن ذهاب بصره فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أنّي لم أضرب ولم أرم فلما قتل عليه السلام رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الأخيرة ونمت فأتاني آتٍ في منامي

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢، ص٩٤.

(٢) نقلاً عن كتاب سلوا حسيناً، هشام آل قطيط.

فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه يدعوك، فقلت: ما لي وله فأخذ بتلابيبي وجرني إليه فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس في صحراء حاسر عند ذراعيه آخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل أصحابي التسعة فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليّ ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال يا عدو الله انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترعَ حقي وفعلت ما فعلت فقلت والله يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، قال صدقت ولكنك كثرت السواد، أدن مني فدنوت منه فإذا طست مملوء دماً فقال لي هذا دم ولدي الحسين عليه السلام فكحلني من ذلك الدم فانتبهت حتى الساعة لا أبصر شيئاً.

* **كلام الرأس الشريف**

تكلم الرأس الشريف في عدة مواضع منها: روى زيد بن أرقم[١] أنّه قال: مرّ به عليّ (أي الرأس) وهو على رمح وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ فقف والله شعري عليّ: وناديت: راسك يا بن رسول الله أعجب وأعجب[٢]، وتكلم أيضاً في (صيارف الكوفة ــ قصر ابن زياد بالكوفة ــ بيت التغلبية زوجة خولي الأصبحي بالكوفة ـ دمشق...).

(١) إنّه كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام وكتم الشهادة بالولاية له يوم الغدير فدعا عليه بالعمى فكف بصره إلى أن مات. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٣٦٢.

(٢) البحار: ج٤٥، ص١٢١.

٤. سلاح الأصحاب

ولعله من أوضح الأسلحة التي استخدمها الإمام عليه السلام، الحديث عن هؤلاء الصفوة حديث ذو شجون، ثلة من الرجال عقمت الدنيا أن تلد مثلهم، يقول عنهم سلام الله عليه: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي»، وشهدوا القضية الحسينية توزعوا بين من قتل قبل يوم عاشوراء (كمسلم بن عقيل وهاني بن عروة وسلمان بن رزين ــ الذي أرسله الإمام إلى البصرة وقتله ابن زياد ــ وقيس بن مسهر الصيداوي ــ الذي أرسله الإمام إلى الكوفة ــ) ومنهم من استشهد في عاشوراء، وصنفوا رضوان الله عليهم أيضاً نسبة إلى أماكن التحاقهم بالإمام عليه السلام وكما يلي:

*** بنو هاشم**

وذكر بأنّه عليه السلام (خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد ابن الحنفية)[1]، و(تشير الدلائل التاريخية إلى أن محمد ابن الحنفية، وعمر الأطراف، وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس لم يكونوا مع الركب الحسيني الخارج من المدينة)[2]، ومن المتيقن أيضاً أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد خرج معه، أما ولداه عبد الله ومحمد فالأظهر أنّهما كانا مع أبيهما مسلم في الخروج مع الإمام الحسين عليه السلام[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٥٣.

(٢) مع الركب الحسيني: ج١، ص٤٠٥.

(٣) المصدر السابق.

وأما ولدا عبد الله بن جعفر وهما عون ومحمد فإنّ ظاهر القرائن التاريخية تفيد أنّهما كانا مع أبيهما ثم التحقا بالإمام عليه السلام وانضما إليه بعد خروجه من مكة ويبقى الاحتمال وارداً أنّهما خرجا مع الإمام عليه السلام ثم صارا مع أبيهما في مكة ثم عادا فالتحقا[١].

* **فرقة سارت من المدينة**

أما الأنصار الآخرون غير الهاشميين الذين خرجوا مع الإمام عليه السلام من مكة: فذكر منهم: عبد الله بن يقطر الحميري[٢] ـ سليمان بن رزين[٣] ـ أسلم بن عمرو[٤] ـ قارب بن عبد الله[٥] ـ منجح بن سهم[٦] ـ سعد بن الحرث الخزاعي[٧] ـ الحرث بن نبهان[٨] ـ جون بن حوي[٩] ـ عقبة بن سمعان[١٠] ـ

(١) المصدر السابق.

(٢) أُمه حاضنة للإمام الحسين عليه السلام اشتهر عنه بأنه أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة، إلا أن بعض المحققين صح عنده أن الإمام عليه السلام لم يرضع إلا من صدر أُمه عليها السلام. أرسله الإمام إلى مسلم بن عقيل عليه السلام فقتله ابن زياد.

(٣) مولى الإمام عليه السلام: أرسله الإمام من مكة إلى البصرة برسالة وقتله ابن زياد هناك.

(٤) مولى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٥) مولى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٦) مولى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٧) مولى الإمام علي عليه السلام، من شهداء الطف.

(٨) أبوه مولى حمزة بن عبد المطلب، وهو انضم إلى الإمام علي عليه السلام ثم إلى الإمام الحسن عليه السلام ثم إلى الإمام الحسين عليه السلام، من شهداء الطف.

(٩) مولى أبي ذر، من شهداء الطف.

(١٠) مولى للرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، قيل إنّه من شهداء الطف وهذا ما ذهب إليه ←

نصر بن أبي النيزر[١].

* **فرقة انضمت إليه بالطريق بين المدينة ومكة**

ومنهم: مجمع بن زياد بن عمرو الجهني وعباد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهني وعقبة بن الصلت الجهني (رضوان الله تعالى عليهم) من شهداء الطف.

* **فرقة انضمت معه في مكة**

ومنهم جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي[٢] ـ عمرو بن جنادة ابن كعب[٣] ـ عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي[٤] ـ عمار بن حسان الطائي[٥] ـ برير بن خُضير الهمداني[٦] ـ عابس بن أبي شبيب الشاكري[٧] ـ

السيد الخوئي في رجاله بالإضافة إلى ورود اسمه في زيارة الإمام في أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان، وفي أنه فرّ على فرس بعد استشهاد الإمام عليه السلام فأخذه أهل الكوفة ثم أطلق وجعل يروي الواقعة.

(١) مولى الإمام علي عليه السلام، قال المبرّد في الكامل عنه: صح عندي أنه من ولد النجاشي، من شهداء الطف.

(٢) من شهداء الطف

(٣) من شهداء الطف، ابن ١١ عاماً،استأذن الإمام بعد قتل أبيه بأمر من أُمه.... القصة المعروفة.

(٤) من شهداء الطف.

(٥) من شهداء الطف.

(٦) كان من أشراف أهل الكوفة وناسكاً قارءً، من شهداء الطف.

(٧) أرسله مسلم عليه السلام إلى الإمام بكتاب وبقي معه حتى خرج معه، من شهداء الطف، كان رئيساً شجاعاً ناسكاً متهجداً، كوفياً.

شوذب ابن عبد الله الهمداني الشاكري[١] ـ عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي[٢] ـ الحجاج ابن مسروق الجعفي[٣] ـ يزيد بن مغفل الجعفي[٤] ـ الحجاج بن بدر التميمي السعدي[٥] ـ قعنب بن عمر النمري[٦] ـ يزيد بن ثبيط العبدي وابناه عبد الله وعبيد الله[٧] ـ الأدهم بن أُمية العبدي[٨] ـ سيف بن مالك العبدي[٩] ـ عامر بن مسلم العبدي ومولاه سالم[١٠].

*** فرقة انضمت إليه في الطريق من مكة إلى كربلاء**

ومنهم زهير بن القين، وبرير بن خضير، ونافع بن هلال الجملي، وعمرو بن خالد الصيداوي، وجمع بن عبد الله العائذي، سلمان بن مضارب البجلي[١١]، وهب بن وهب (ابن الحباب الكلبي)[١٢]، نعيم بن العجلان الأنصاري

(١) صحب مولاه عابساً إلى مكة، من شهداء الطف.

(٢) من شهداء الطف، كوفي.

(٣) من شهداء الطف، كوفي.

(٤) ابن عم الحجاج بن مسروق، من شهداء الطف، كوفي.

(٥) من أهل البصرة، حمل رسالة جوابية من يزيد بن مسعود النهشلي إلى الإمام في مكة، ذهب معه إلى كربلاء واستشهد في الطف.

(٦) من أهل البصرة، جاء مع الحجاج السعدي، من شهداء الطف.

(٧) من أهل البصرة وارتحل إلى الإمام في مكة واستشهد معه.

(٨) صحب يزيد بن ثبيط، استشهد بالطف.

(٩) من أهل البصرة، خرج مع يزيد بن ثبيط، من شهداء الطف.

(١٠) من أهل البصرة، خرج مع يزيد بن ثبيط، من شهداء الطف.

(١١) ابن عمر زهير بن القين، كان معه وانضم إلى الإمام معه، من شهداء الطف.

(١٢) روي أنه كان نصرانياً أسلم على يد الإمام هو وأُمه في المنزل الثامن: الثعلبية، من شهداء الطف.

الخزرجي[١]، زاهر بن عمر الأسلمي الكندي[٢]، أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الهمداني الصائدي[٣]، الحباب بن عامر بن كعب بن تميم اللاة بن ثعلبة التميمي[٤]، جندب بن حجير الكندي الخولاني[٥].

*** فرقة انضمت إلى الإمام عليه السلام في كربلاء**

ومنهم أنس بن الحارث الكاهلي، جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التميمي[٦]، حبيب بن مظاهر الأسدي[٧]، مسلم بن عوسجة[٨]، مسلم أو أسلم ابن كثير الأعرج الأزدي[٩]، رافع بن عبد الله[١٠]، القاسم بن حبيب بن أبي بشر الأزدي[١١]، زهير بن سليم الأزدي[١٢]، النعمان بن عمرو الأزدي الراسبي

---

(١) من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، لحق الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٢) صاحب عمرو بن الحمق، لقي الإمام عليه السلام فصحبه، من شهداء الطف.

(٣) خرج مع نافع بن هلال من الكوفة إلى الإمام بعد خذلان أهلها مسلم عليه السلام، لقي الإمام بالطريق وجاء معه واستشهد.

(٤) خرج من الكوفة بعد خذلان أهلها لمسلم عليه السلام، لقي الإمام واستشهد معه.

(٥) لقي الإمام عليه السلام في الطريق وجاء معه واستشهد.

(٦) خرج لحرب الإمام عليه السلام، انتقل إلى معسكر الإمام عليه السلام واستشهد معه.

(٧) صحابي، من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام، من شهداء الطف.

(٨) صحابي، من شهداء الطف.

(٩) صحابي، من شهداء الطف.

(١٠) مولى مسلم بن كثير، من شهداء الطف.

(١١) خرج مع ابن سعد، مال إلى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(١٢) من شهداء الطف.

والحُلاس بن عمرو الأزدي الراسبي(١)، جابر بن الحاجج(٢)، مسعود بن الحجاج التيمي وابنه عبد الرحمن(٣)، عمر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الضبعي التميمي(٤)، أُمية بن سعد الطائي(٥)، الضرغامة بن مالك التغلبي(٦)، كنانة بن عتيق التغلبي(٧)، قاسط بن زهير بن حرث التغلبي، وكردوس بن زهير بن الحرث التغلبي، ومقسط بن زهير بن الحرث التغلبي(٨)، حنظلة بن أسعد الشبامي(٩)، سيف بن الحرث بن سريع بن جابر الهمداني الجابري، ومالك بن عبد الله بن سريع بن جابر الهمداني الجابري(١٠)، شبيب مولى الحرث بن سريع الهمداني الجابري(١١)، عمار بن أبي سلامة الدالاني(١٢)، حبشي بن قيس النهمي(١٣)، زياد بن عريب الهمداني

(١) من شهداء الطف.

(٢) مولى ابن نهشل التيمي، من شهداء الطف.

(٣) من الشيعة المعروفين، خرجا مع ابن سعد وانضما إلى الإمام الحسين عليه السلام، من شهداء الطف.

(٤) خرج مع ابن سعد ثم مال إلى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٥) سمع بقدوم الإمام فخرج إليه والتحق معه، من شهداء الطف.

(٦) خرج مع ابن سعد والتحق بالإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٧) جاء إلى الإمام عليه السلام في الطف، من شهداء الطف.

(٨) هؤلاء الثلاثة رضوان الله عليهم من أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام، من شهداء الطف.

(٩) جاء للإمام عليه السلام عندما ورد الطف، من شهداء الطف.

(١٠) انضما إلى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(١١) من شهداء الطف.

(١٢) جاء إلى الإمام عليه السلام في الطف، من شهداء الطف.

(١٣) جاء إلى الإمام عليه السلام في الطف، من شهداء الطف.

الصائدي (أبو عمرة)[١]، عمرو بن عبد الله الجندعي[٢]، عمرو بن قرظة الأصناري[٣]، عبد الله بن بشر الخثعمي[٤]، الحارث بن امرء القيس الكندي[٥]، بشر بن عمرو بن الأحدوث الحضرمي الكندي، عبد الله بن عروة بن حراق الغفاري، وعبد الرحمن بن عروة بن حراق الغفاري[٦]، عبد الله بن عمير الكلبي[٧]، سالم بن عمرو مولى بني المدينة الكلبي[٨].

* سجناء وشهداء اعتقلوا أعقاب قضية مسلم بن عقيل عليه السلام.

النتيجة

بعد معرفة الخصائص التي تميزت بها النهضة الحسينية المقدسة وعرض وتحليل فلسفة القيام ودواعيه وبذل النفس والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل المبدأ واستخدام أنواع الأسلحة التي من شأنها أن تشعل ثورة تغيير على أكثر من صعيد، بعد كل هذا نستطيع القول إنّ الإمام عليه السلام خرج للإصلاح وإنقاذ الإسلام والمسلمين من الاحتلال الأُموي الذي جثم على جسد الأُمة الإسلامية.

---

(١) حضر وقتل مع الإمام عليه السلام.

(٢) جاء إلى الإمام وقتل معه.

(٣) جاء إلى الإمام عليه السلام وقتل معه.

(٤) جاء إلى الإمام عليه السلام وقتل معه.

(٥) خرج مع معسكر عمر بن سعد ثم مال إلى الإمام عليه السلام، من شهداء الطف.

(٦) من أشراف الكوفة، جاءا إلى الإمام بالطف، من شهداء الطف.

(٧) جاء إلى الإمام عليه السلام وقتل معه.

(٨) انضم إلى الإمام عليه السلام وقتل معه.

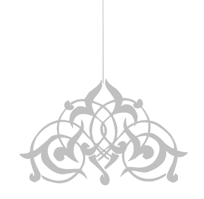
خرج عليه السلام ليصنع ثورة ذات شعلة وقادة داخل الإطار الإسلامي ما دام الإسلام يستظل بظله غير أهله، وينتفي الانتقاد المتضمن بأنّه عليه السلام لم يخرج على إمام زمانه وشق عصا المسلمين وأحدث فتنة داخل الوحدة الإسلامية، أو أنّه عليه السلام قد عرّض نفسه وأهل بيته وصحبه ولم يعد العدة اللازمة للقاء الجيش الأموي، توضح أنّه عليه السلام قصد مواجهةً لها عدها التي انتصرت بها وسيستمر الانتصار هذا إلى أن تتحقق جميع أهداف الثورة عند الظهور الموعود.

كان يعلم أنّه مقتول ولكن لا محيص عن يوم خط بالقلم ما دام الإسلام يدور مداره، ما دام السكوت على مثل يزيد يكون عبارة رصاصة الرحمة في جسد هذا الدين الحنيف وشرعنةً لمذهب الانحراف والزيغ عن إرادة السماء.

وأخيراً: نجزم بأنّ النصرة كانت للإمام عليه السلام، وهذا ما بيّنه الإمام السجاد عليه السلام: روى الشيخ الطوسي قد سره في الأمالي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لما قدم علي بن الحسين عليه السلام وقد قتل الحسين عليه السلام استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبد الله قال: يا علي بن الحسين من غلب؟ وهو يغطي رأسه، وهو في المحمل قال: فقال له علي بن الحسين عليه السلام:

«إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة، فأذن وأقم تعرف الغالب».



المبحث الثالث: الحر بن يزيد الرياحي من أوضح مصاديق التأثر بأسلحة الثورة

(الحر) ظاهرة جديدة بالبحث والدراسة والتعمق، انقلاب الحر المفاجئ واتخاذ القرار الصعب في أصعب الظروف وأشدها ضغطاً على العقل والنفس جعلت منه شخصية خصبة لإبداء الآراء والتكهنات وتحليل المقدمات واستخراج النتائج الكامنة في تلك الشخصية التي أدت بها إلى ما فعلته.

(الحر) كما نعتقد يمثل الترجمان الحقيقي لطلاسم الرسائل التي احتوتها رسائل الحسين عليه السلام والمحملة على أجنحة الأسلحة السابقة التي وجهها للجيش المقابل، بل ترجمته تعدت إلى التطبيق وأي تطبيق...!، تطبيق ناتج من رحم التحرر العقلي والروحي والنفسي وانسلاخ من العُقد الباطنة وهروب وشذوذ عن العقل الجمعي المخيم وقتئذ.

(الحر) لم يستطع مقاومة نبال وأسهم الحسين عليه السلام المعنوية والروحية بل وأردته صريعاً، قُتل (الحر) مرتان، الأولى على يد الحسين عليه السلام ولكنه رجع إلى الحياة بعد أن نفض كل براثن الظلم والظالمين عن جناحيه، والثانية على

يد جيش بن سعد ولكن بعد أن وشّحه أبو الأحرار كل معاني العز والصدق والصادقين.

إذن أخذت أسلحة الحسين السابقة من (الحر) مأخذها، فلنستعرض قسماً منها:

ـ مقابلة الإساءة بالإحسان

أمر الإمام عليه السلام أصحابه بسقي الحر في منطقة (ذي حسم) حيث سبقهم الإمام إليها، بل وأمرهم أن يسقوا خيولهم أيضاً، بل كان عليه السلام يتولى بنفسه سقي القوم. فهذا الخُلق القرآني والذي دعت إليه الآية الكريمة:

{ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[1].

لحقيق أن يتحلى به كل مسلم والمصلحون منهم خاصة، وهذا هو خلق أهل البيت عليهم السلام وهذا هو دأبهم، فلا يقابلون الإساءة إلا بالإحسان وما نُقل عنهم من آثار بهذا المعنى أكثر من أن تذكر.

ـ الخطب المؤثرة

وفي (البيضة) خطب الحسين عليه السلام في أصحابه وأصحاب الحر. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

«أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيّر وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، إنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإنّ تممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي في أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

- النداء الغيبي للحر

مما قاله الحر للإمام الحسين عليه السلام: وجهني عبيد الله إليك، فخرجت من القصر، فنوديت من خلفي (أبشر بخير (أبشر يا حر بالجنة) فالتفت فلم أرَ أحداً فقلت: والله ما هذه بشارة وأنا أسير إلى الحسين عليه السلام وما أحدث نفسي باتباعك، فقال له الحسين عليه السلام:

«أصبت أجراً وخيراً»).

ـ ما بينه الحر رضوان الله عليه مما أثر فيه وأراد أن يوصله إلى معسكر بن سعد

فقال لهم: يا أهل الكوفة..! لأُمّكم الهبل والعبر (العبر/ الثكل) إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه (المنع) وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضراً، حلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والنصراني وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابها، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظماء، إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه من يومكم هذا، في ساعته هذه.

الصراع في داخل الإنسان

الإنسان تركيب مترابط من عدة عناصر منها وأهمها (العقل، النفس، الروح، الجسد)، وقد تنقسم هذه العناصر أو تندمج وفق مقاييس معينة، وعموماً: تحصل هنالك بعض التناقضات أو بعض الصراعات بين هذه العناصر وخاصة في بعض المواقف الحرجة التي تحتاج إلى اتخاذ قرار. وهذا هو سر ارتقاء الإنسان على باقي المخلوقات من ناحية وكذلك سر تدنيه عنها من ناحية أُخرى.

إلا أنّ أهم تلك الصراعات وأخطرها وخاصة في المجالات الدينية والمواقف الشرعية تقع بين العقل والنفس، فالأول وخاصة إذا كان سليماً، يمثل كتلة من

القوانين الفطرية التي تجيد استحسان الحسن واستقباح القبيح في كثير من الأشياء وهي نعمة وجوهرة ثمينة أودعها الله جلّ وعلا في الإنسان، أما النفس فتمثل كتلة من الغرائز والأهواء والطلبات الملحّة التي تغض النظر غالباً عن كثير من المحددات التي تفرضها بعض القيود العقلية والشرعية والاجتماعية... الخ.

نعم هنالك صراع آخر وخطير يقع بين العقل والعقل نفسه وله أنواع عديدة ومراتب وفقاً للترجيح الداخلي بين كفتي العقل نفسه، وقسّم المناطقة ذلك تحت عنوان تقسيم درجات العلم إلى:

* الوهم والظن: وعندهما تترجح كفة على أُخرى.

* الشك: ويحصل عنده التساوي بين الكفتين.

وهذا النوع يحتاج الخروج منه إلى بحث واكتشاف عقلي وعلمي وتحقيق وتدقيق في الأُمور والحوادث الواقعة.

أما الصراع (العقلي ــ النفسي) فيحتاج إلى إرادة قوية وعزيمة عالية بالإضافة إلى الإيمان والاطمئنان النفسي للمعلومات والاعتقادات العقلية، وضع له العلماء عدة مواد وطرق للعلاج ومنها:

* التعلم ونبذ الجهل والتسلح بالعقائد الحقة.

* ترسيخ الإيمان وارتقاء درجاته بتهذيب النفس والعمل الصالح واتباع أهل الحق.

* تذكير وتخويف النفس من عواقب اتباع الهوى، وكذلك ترغيبها في الاتجاه المقابل.

* ترويض النفس دائماً وفي الحالات الاعتيادية والصغيرة وامتلاك زمام عنانها كمقدمة لضمان مطاوعتها في المواقف الأكبر والأخطر.

* معاشرة أو دراسة حياة قادة جهاد النفس ومحاولة الارتشاف من معين مائهم وهدي مجاهداتهم.

* الدعاء والتضرع إلى الله جلّ وعلا بحسن التوفيق والعاقبة.

إلى غيرها من العلاجات التي احتفت بها كتب الأخلاق وتهذيب النفس.

وعليه فإنّ الصراع الغالب في واقعة الطف هو الصراع (العقلي ــ النفسي) لأنّه ومن خلال عدة أدلة وقرائن يتبين أنّ أغلب الأشخاص مصابون بهذه الحالة وهي ما عبّر عنها الفرزدق عندما التقى بالإمام عليه السلام (قلوبهم معكم وسيوفهم عليك).

و(الحر) من أوضح الشخصيات التي حصل فيها هذا النزاع الداخلي وعبّر عنه في عدة مواقف وكلمات وخاصة عندما قال (إنّي أُخيّر نفسي بين الجنة والنار)، استطاع ومن خلال رجحان عقله وقوة إرادته وعزيمته التي أضافت لها أسلحة الحق التي جاء بها الإمام الحسين عليه السلام قوة وبياناً أن يكسر حاجز الخوف والتردد والعزم على اتباع الحق مهما كلّف الأمر.

زهير بن القين(١)

ظاهرة زهير بن القين لا تقل شأناً عن ظاهرة (الحر) فهو رضوان الله عليه

---

(١) زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، كان رجلاً شريفاً في قومه بالكوفة ومعروفاً بالشجاعة، له مواقف بطولية ومعروفة في المغازي والفتوح الإسلامية.

وحسب ما نصت عليه النصوص الواردة كان عثماني الهوى، وقد كان يساير الإمام الحسين عليه السلام في الطريق من مكة إلى العراق إلاّ أنّه كان يتجنب النزول معه، إلا أنّه في إحدى المنازل وبالقرب من منزل سيد الشهداء ومن معه، جاء رسول الحسين يدعوه وكان ما كان[١]. إلا أنّنا نسجل بعض الفوارق:

. الفارق الأول

السرعة الفائقة لتحول زهير بن القين نسبة إلى الحر رضوان الله عليهما، حيث ما إن ذهب إلى الإمام عليه السلام حق عاد من أخلص الأصحاب وأوثقهم موالاة له، زاهداً بالدنيا حتى وصل به الحال إلى طلاق زوجته ومجافاة ماله ووضعه.

. الفارق الثاني

إنّنا نجهل الأسلحة (أسلحة الحق) التي وجهها عليه السلام إلى زهير، بينما في (الحر) كانت واضحة وجلية.

* من خلال الفارقين السابقين نستطيع أن نجزم بأنّها كانت خاصة ولا نستبعد أن تكون غيبية خالصة... والله العالم.

موقف مشابه في القرآن الكريم لموقف (الحر)

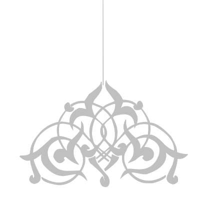
ينقل لنا القرآن الكريم موقفاً مشابهاً لموقف (الحر) و(زهير) من حيث الاعتراف بالحق والغلبة والقدرة على اتخاذ القرار الجريء الذي نهايته القتل

---

(١) راجع مسلسل مسير الركب الحسيني المقدس في كتابنا هذا.

والتعذيب، ألا وهو موقف السحرة الذين جاء بهم فرعون كأقوى سلاح يجابه به نبي الله موسى عليه السلام. فهؤلاء لم يترددوا في تصديق موسى عليه السلام عندما تبين لهم الحق وأصبح طريقه لاحباً رغم تهديد فرعون لهم بالعذاب والقتل. قرار صائب وسريع اتخذ في وقت صعب تكل فيه العقول عادة وتخيّب النفوس أصحابها غالباً.

ولكن لابد من القول بأنّ هذا التحول السريع والتوفيق إلى جادة الصواب لابد أنّ تكون له مقدمات أدت إليه وأعمال كانت قد فرضت هكذا نتائج، ولا شك أن هذا الانقلاب هو من حسن العاقبة الذي طالما يدعو به المؤمنون الله جلّ وعلا ونسأله تعالى أن لا يحرمنا منه.



المبحث الرابع: تجدد الثورة وديمومتها... الأسباب والمقومات

الواقع والوجدان يقطع أمراً مفاده بأنّ القضية الحسينية غضة طرية متجددة على مرِّ مئات السنين منذ وقوعها وليس بالبين ما يشير إلى اضمحلالها أو نسيانها، وبمقتضى القواعد العقلية لابد من أن يكون هنالك سبب أو علة لهذا التجدد وهذه الحرارة الملتهبة...؟!

ومن خلال التمعن بأسباب قيامها وطريقة حدوث وقائعها والثمرات التي جنيت منها وما زالت تجنى، نستطيع أن نذكر قسماً من تلك الأسباب والمقومات المجددة لها: منها:

١. حقانيتها

من أهم مقومات الثورة الحسينية المباركة هو عنصر الحق الذي تحلت به واتشحت بجلبابه، وهذا ما عبر عنه عليه السلام بقوله:

«لم أخرج أشراً ولا بطراً...».

وكذلك ما يذكره الرواة: (ثم سار حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال:

«قد رأيت هاتفاً يقول أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة».

فقال له ابنه علي «يا أبه أفلسنا على الحق» فقال عليه السلام:

«بلى يا بني والله الذي إليه مرجع العباد».

فقال: «يا أبه إذن لا نبالي بالموت»، فقال الحسين عليه السلام:

«جزاك الله يا بني خير ما جزا ولداً عن والده»[(١)].

شمل هذا الحق كل مراحل الثورة ومن المبدأ وحتى الأهداف، فأسبابها وتداعياتها وأهدافها ومطالباتها كلها حق وخالية من كل أنواع الباطل وأشكاله أو أشكال الانحراف أو الفساد والظلم.

والحق: هو الثبوت مع المطابقية للواقع[(٢)]، واستعمل القرآن الكريم مادة الحق في آيات كثيرة في مقابل الباطل والضلال، والباطل ما ليس له ثبوت.

* قال تعالى: { قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ } [(٣)].

* قال تعالى: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ } [(٤)].

(١) اللهوف في قتلى الطفوف.

(٢) انظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة حق.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

ولهذا نعرف أنّ القرآن الكريم محفوظ وأنّه غض طري لأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالباطل بمثابة النار التي تلتهم ما حولها وتستهلك كل شيء يكون في تماس معها، والباطل منقصة وكل شيء يحمل الباطل فهو في تناقص وتضاؤل مستمر حتى ينمحق.

ولابد أن ننتبه بأنّ لكل شيء باطله:

* فمن باطل المال الربا مثلاً والسحت، قال تعالى:

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}(١).

* وباطل النعمة هو الجحود بها، قال تعالى:

{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}(٢).

* ومن باطل الإيمان الحسد.

* وباطل العلم حبسه.

وهكذا، فإنّ لكل شيء باطلاً من جنسه أو بما ينسجم معه.

وعلينا أن ننتبه بأنّنا يجب أن لا نُدخل على هذه الثورة المباركة أشكالاً وأنواعاً مختلفة من الباطل لأنّها وإن كانت محفوظة بحفظ الله عزّ وجل إلاّ أنّها لا تخلو من أضرار، سواء كان هذا الباطل على شكل روايات غير صحيحة أو التعبير عن الحزن بطريقة غير مقبولة وهكذا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

٢. أنواع وأشكال المآسي التي جرت بها والبطولات والأخلاقيات التي تحلت بها من جانب والتجرد من معاني القيم والأخلاق والإنسانية من جانب آخر

فمسرح الطف تضمن فصولاً مُثّل بها أعلى مراتب البطولة والشجاعة والأخلاق والأُخوّة والحمية والعزة والدفاع عن المبدأ، ومن جانب آخر تضمنت فصولاً امتلأت بأبشع أنواع القسوة والظلم والفساد والانحراف والاستهتار والاستخفاف والتخلي والتجرد عن كل معاني الشرف والأخلاق، فترامى طرفي الدرجات في سلم الإنسانية العلوي والسفلي جعل من واقعة الطف مادة فوّارة لا تقبل الهدوء ما دام هنالك شخص يستطعم هذا الطرف ويستقبح ذاك.

٣. شخصياتها

من إحدى أهم المقاييس التي يرجع إليها في تقييم مستوى بعض الأحداث والوقائع هي مستوى الشخصيات التي دخلت في تكوينها وإحداثها. وهذه سنة قرآنية وتاريخية، فنرى القرآن الكريم قد خلد سيرة أئمة الإيمان والكفر على مر العصور.

٤. الاحتياج لمثلها في كل وقت

التاريخ هو مجموعة من السنن وتراكم لمجموعة من التجارب والأحداث المتكررة التي تمر بها البشرية، وهذا الأمر يقره القرآن الكريم والعلوم التاريخية، ولحاجة الإنسان دائماً إلى تغذية راجعة تسد نقصه من إمكانية السيطرة والتحكم بالحاضر واستشراف وصنع المستقبل اضطر ويضطر دائماً إلى مراجعة الماضي

واستذكاره وأخذ الدروس والعبر منه وخاصة إذا كانت أحداث ذلك الماضي ومقدمات وجودها متكررة وتحاكي الوضع المعاش في حينه.

وعليه ولاستمرار الظلم والفساد والاستخفاف بحرمات الحق والخلق ولأنّ الثورة الحسينية كانت القدوة في مواجهة ذلك الظلم والفساد والاستخفاف، نرى استذكارها واستلهام الخبرة والعزيمة وروح المواجهة والإقدام منها حاجة بل ضرورة.

٥. نتائجها واقتطاف ثمراتها التي لا تنقطع

ما زالت هذه الثورة تهز عروش الظالمين وتبعث في قلوبهم الرعب بل وتسقط عروشهم واحداً تلو الآخر، وبنفس الوقت كانت وما زالت الممول الرئيس لصنع إرادة الثائرين والقائمين وإلى أن يتحقق الهدف الأكبر والأعظم بتأسيس دولة العدل الإلهي عندما يخرج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو يرفع شعار (يا لثارات الحسين).

٦. محفزات إحيائها

الأُخرى من ثواب عاجل في الدنيا وقرة أعين في الآخرة.

٧. الوعد الإلهي لبقاء هذه الحادثة

كما صرّح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقول ما مضمونه:

«إنّ للحسين جمرة في قلوب المؤمنين لن تنطفئ إلى يوم القيامة».

أو قول زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية لعنه الله: «فكد كيدك واسع سعيك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا...».

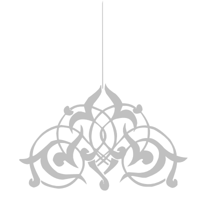
٨. الأشخاص الذين أخذوا على عاتقهم إحياء هذه المناسبة

وتشربوا بحب الحسين عليه السلام من خطباء ورواديد وشعراء ومعزين... الخ، وهنيئاً لهذه الجماعة التي واست أهل بيت النبوة من جهة وكانت سبباً لإحياء مناسباتهم من قبل المؤمنين من جهة أُخرى.

٩. المراسيم الخاصة بإحياء ذكرى هذه الثورة

والتي تتناغم معها العقول وتتفاعل معها الأنفس.

كل هذه المقومات وغيرها كانت مادة الديمومة والتجدد لهذه الثورة المباركة والمعين الذي تستقي منه.



المبحث الخامس: زينب... أُنموذج لجهاد المرأة في الإسلام

بحث مختصر حول المرأة

ولدت المرأة فوجدت نفسها داخل إطار ثلاث دوائر ملزمة التعامل معها والحركة داخلها، وهذه الدوائر الثلاث هي:

. الأولى: الدائرة التكوينية

بمعنى أنّ المرأة وجدت نفسها ذات جسد وروح لهما خصائصهما المعينة ووظائفهما المحددة.

. الثانية: الدائرة التشريعية الإلهية

وهذه تخص أهل الديانات، وتعني منظومة الأحكام والشرائع التي جاءت بها الأديان السماوية والتي أحاطت بالمرأة إحاطة كاملة وخاصة الدين الإسلامي.

. الثالثة: الدائرة التشريعية الوضعية

وتشمل منظومة الأحكام التي جاءت بها عقول وعادات واجتهادات وأُمنيات البشر سواء كانت تحت غطاء دولي أو عشائري أو مناطقي.... الخ.

ولا شك أنّ الدائرة التكوينية هي الأصل والثابتة، أما التشريعيتان فهما المتحركتان والمتفرعتان عن الدائرة التكوينية، بمعنى أنّ قراءة تكوين المرأة يؤدي إلى تحديد الوظائف الخاصة بها.

وهنا يأتي سؤال: إذا كان المقروء واحداً وهو ذات التكوين، فلماذا يتعدد التشريع...؟

والجواب هو بسبب تعدد القراءات إلى ذلك التكوين، فكلٌّ ينظر إلى جهة محددة، ولكلٍّ فهمه الخاص من تلك القراءة واجتهاداته الخاصة به. ويمكن تحديد جهتين للمرأة ضمن تكوينها تتركز فيهما القراءة وهما:

* الجهة الأُولى: إنسانيتها، فهي تكوين إنساني لا تختلف من هذه الجهة مع الرجل بشيء أبداً.

* الجهة الثانية: جسدها وروحها الخاصة بها ووظائفهما التي تجيد أداءهما وتفترق بهما عن الرجل.

من هنا تعددت جهات القراءة....

فجهة تشريعية وضعية نظرت إلى الأُولى وأهملت الثانية إهمالاً يكاد أن يكون كلياً، فرفعت عندها شعارات مساواة المرأة مع الرجل، وحملت المرأة واجبات ومنحتها حقوقاً مشابهة للرجل، فجعلتها تعمل وترأس وتلبس وتتصرف

تماماً مثل الرجل وبغض النظر عن إمكانياتها ومهاراتها الخاصة والفطرية.

وجهة تشريعية وضعية ثانية نظرت وقرأت الجهة الثانية وغضت النظر عن الأُولى وحكمت على المرأة أن تكون آلة للإنجاب والعمل داخل حدود زوجها وأطفالها، أدنى من الرجل مرتبة وهي تابعة له في كل شيء.

فقط الشرائع السماوية نظرت إلى الجهتين معاً وقرأتهما بتمعن وأصدرت الأحكام المناسبة لهما، الشرائع السماوية فقط استطاعت أن تعطي للمرأة قدرها، فرفعت منزلتها أيما مرتبة ووضعت عنها ما لا تطيق وكلفتها بما تستأنس نفسها وروحها إليها من التكاليف.

إذن توظيف المرأة لهو أصعب وأدق من توظيف الرجل، يحتاج إلى دراية خاصة ومهارة فائقة.

لهذا نستطيع القول إنّ الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يوظف (زينب) عليها السلام في واقعة الطف خير توظيف، فحملها معه إلى كربلاء وحمّلها وصايا وتكالف ضرورية يتوقف عليها نجاح ثورته. كانت زينب عليها السلام النائب الخاص عن الإمام الحسين عليه السلام، فلها دور في جميع مراحل الثورة وقبل الواقعة وأثنائها وبعدها. ومن جملة ما قامت به هذه المجاهدة هو:

* تعبئة الثورة بالروح المعنوية العالية من خلال وجودها ومساندتها لرجالات تلك الثورة المباركة وبما فيها الإمام الحسين عليه السلام.

* حفظت العيال وقامت مقام الرجال فيهم، فكانت مركزاً يؤي إليه الكبير والصغير أثناء وبعد الواقعة.

* فضحت الظالمين شر فضيحة وقلبت المعادلة وجعلت من الهزيمة نصراً تضج له أعواد حكم بني أُمية ومن يتبعهم من خلال جرءتها وخطبها في المحافل والمنازل التي تمر بها وهي مسبية. من كلام للدكتورة بنت الشاطئ (لقد أفسدت زينب أُخت الحسين عليهما السلام على ابن زياد وبني أُمية لذة النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظالمين..)[١].

* حفظت عليها السلام الواقعة بكامل تفاصيلها وروت ما حدث فيها.

* أسهمت عليها السلام في ترسيخ الجانب العاطفي والوجداني في هذه الواقعة بل وجعلته أصلاً من أُصولها لا ينفك عنها أبداً.

* أعطت أُنموذجاً رائعاً لجهاد المرأة في الإسلام ومذهباً في ولوج الباب الذي فتحه الله جلّ وعلا لخاصة أوليائه. فهناك نص تاريخي ينقل عن الإمام عليه السلام يوضح أنّ نساء آل البيت عليهم السلام هنّ من أصرن على الخروج معه ومشاركته في ثورته، فعندما قال ابن عباس للإمام في مكة: جعلت فداك يا حسين، إن كان لابد من المسير إلى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك، فو الله إنّي لخائف أن تقتل...)، فقال عليه السلام:

«يا ابن العم، إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه... ولا آمن عليهن أحداً، وهنّ أيضاً لا يفارقنني...»[٢].

فلاحظ هذه العبارة (وهن أيضاً لا يفارقنني).

(١) سلوا حسيناً، هشام آل قطيط.

(٢) مدينة المعاجز: ج٣، ص٤٥٤.

وهل الحوراء زينب عليها السلام الوحيدة التي لعبت دور المرأة المجاهدة في الطف...؟

طبعاً قد ذكر لنا تاريخ الطف نساءً أُخريات لهن موقف مشرف لا يحسن عدم ذكره وإن كان موقف سيدتهن الحوراء قد غطّى مواقفهن، ومن هذه النساء:

. ديلم بنت عمرو

زوجة زهير بن القين وكانت من أسباب توفيقه إلى الشهادة بين يدي سيد الشهداء عليه السلام، حدّث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا[1]: كنا مع زهير بن القين لما أقبلنا من مكة فكنا نساير الحسين عليه السلام حتى لحقناه فكان إذا أراد النزول اعتزلناه فنزلنا ناحية فلما كان في بعض الأيام نزلنا في مكان لن نجد بُداً من أن ننازله فيه فبينا نحن نتغدى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ثم قال: يا زهير بن القين إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأنّما على رؤوسنا الطير، فقالت له زوجته وهي ديلم بنت عمرو: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله عليه السلام ثم لا تأتيه فلو أتيته فسمعت من كلامه.

فمضى إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه لحول إلى الحسين عليه السلام وقال لامرأته: أنت طالق فإنّي لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي، ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها

(١) نقلاً عن كتاب اللهوف على قتلى الطفوف.

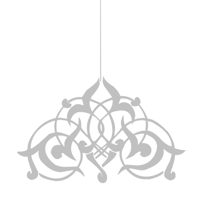
ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام فقال لأصحابه من أحب أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد مني به.

. أم وهب وزوجته رضوان الله عليهما جميعاً

يروي صاحب اللهوف: خرج وهب بن جناح الكلبي فأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد وكان معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا أماه أرضيت أم لا؟ فقالت الأُم ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام وقالت امرأته بالله عليك لا تفجعني بنفسك، فقالت له أُمّه يا بني اغرب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن نبيك تنل شفاعة جده يوم القيامة، فرجع فلم يزل يقاتل حتى قطعت يداه فأخذت امرأته عموداً فأقبلت نحوه وهي تقول فداك أبي وأُمّي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت لن أعود دون أن أموت معك، فقال الحسين عليه السلام:

«جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي إلى النساء رحمك الله».

فانصرفت إليهن ولم يزل الكلبي يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.



المبحث السادس: مراحل الثورة

الثورة الحسينية المباركة هي جزء من تخطيط إلهي قام به ثلة من الأنبياء والأولياء منذ هبوط أبينا آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، ومرّ هذا التخطيط بعدة فصول ومراحل مترابطة فيما بينها وتسير وفق سنن إلهية لا تقبل التخلف ولا الاختلاف. فنرى القرآن الكريم يعرض سلسلة مواجهات كر وفر بين معسكري الحق والباطل، فنرى الأنبياء تارة يستضعفون ويطاردون ويقتلون، ونراهم تارة أُخرى يملكون ويحكمون، إلا أنّ المعدل العام لمسير تطور الخط الإلهي نلاحظ تطوره وتقدمه باتجاه أهدافه المرسومة له.

وكذلك القضية الحسينية نستطيع أن نستقطعها من تلك السلسلة المترابطة ونسلط الضوء على أهم مراحلها، فنلاحظ أنّه من الممكن أن نقسم الثورة المباركة إلى خمس مراحل(١)، ولكل مرحلة شخصيتها أو شخصياتها المتميزة بالإضافة إلى خصائصها الأُخرى وهي:

(١) للشيخ الآصفي دام ظله تقسيم ثلاثي لمراحل الثورة هو: التضحية والجهاد ـ الخطاب ـ الثأر، وذلك في كتاب ي رحاب عاشوراء وانطلاقاً من هذه الفكرة ارتأينا أن نعطي رأينا بتعدد المراحل وخصائصها.

* مرحلة الرفض.
* مرحلة المواجهة العسكرية.
* مرحلة السبي.
* مرحلة إظهار الحزن والندم.
* مرحلة الثأر.

أما مرحلة الرفض

وهي أول المراحل بالنسبة للثورة الحسينية المقدسة وإن كانت امتداداً لرفض بدأ به أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء سلام الله عليها والثلة الخيرة من أصحابهم لخط الانحراف الإسلامي الذي بدأ بعد أن أغمض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينيه.

فهذه المرحلة تبدأ من رفض الإمام الحسين عليها لسلام لبيعة يزيد وإطلاقه قانون (ومثلي لا يبايع مثله)، هذه المرحلة هي باكورة مراحل الثورة الحسينية وتميزت بتأسيس الجانب الفلسفي والعقائدي والشرعي للثورة، تميزت هذه المرحلة بمستويين من مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي: الإنكار القلبي واللساني.

مرحلة الرفض هي مرحلة اتخاذ القرار الصعب والسهل في الوقت نفسه، الصعب على كثير ممن كرهوا هكذا قرار سواءً كانوا ممن ينتسب إلى الحزب الأُموي أو ممن يخاف على الإمام عليه السلام وما سيتحمله من عواقب اتخاذ قرار كهذا، وفئة ثالثة خوفاً على نفسها من الدخول بفتنة هي في غنى عنها، والسهل على من

نذر نفسه في سبيل تحقيق إرادة السماء ورفع راية الحق في البلاد وبين العباد.

تتميز مرحلة الرفض بداية وصول الأُمّة إلى مفترق طرق طالما حاول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام ومن خلال رتق الصدع والقبول ببعض الحلول الاستثنائية الاضطرارية محاولة منهم إعطاء الأُمّة الوقت الكافي للتفكير والرجوع عن خط الانحراف والنكص على الأعقاب بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تيقن الإمام الحسين عليه السلام أنّ الحلول الاستثنائية قد أصبحت عند الاستمرار بها وخاصة بعد تسلم يزيد الحكم وجعل أُمور الإسلام والمسلمين إرثاً أُموياً وحكماً كسروياً هو بمثابة رصاصة الرحمة في جمجمة الإسلام.

مرحلة المواجهة العسكرية

أما المرحلة الثانية هي مرحلة المواجهة العسكرية والتي حاول عليه السلام بشتى الوسائل منعها ومحاشاتها وذلك من خلال التذكير والدعوة إلى الحق بالتي هي أحسن وبشتى الوسائل والسبل والتي أسميناها بأسلحة الحق، بيّن لهم عليه السلام بأنّهم يقومون بعمل تهتز له السماوات والأرض ولكن الشيطان قد استحكم على القوم وأصبحوا قوماً لا يفقهون حتى قال قائلهم للحسين عليه السلام بأنّا لا نفهم ما تقول.

ترجم الإمام عليه السلام في هذه المرحلة رفضه إلى واقع حال على أرض الطف، ضرب عليه السلام أرقى أنواع التضحية وبذل الغالي والنفيس في سبيل المبدأ والعقيدة، وضعت هذه المرحلة المسلمين على المحك، فمن صدق إسلامه

منهم لابد له من أن يثبت ذلك بين يدي أبي الأحرار عليه السلام، أما أصحاب مدعي الإسلام فكان حظهم منه لقلقة اللسان لا غير.

فتح الإمام عليه السلام في هذه المرحلة عدة أبواب ومن أهمها باب الشهادة الحسينية الخاصة والتي عبر عنها عليه السلام بالفتح، هذه الشهادة التي ثبتت عند أهل التحقيق أنّها من أعلى درجات الشهادة في الإسلام.

اختزلت هنا جميع معاني وأشكال طرف الخير الإنساني بل والكوني، وبالمقابل اختزلت في هذه المرحلة كل أنواع ودرجات قوى الشر الوجودي، كشّر الحزب الأُموي في واقعة الطف عن أنيابه واعتبروها معركة أخذ الثأر الأُموي وإعادة اعتبار تلك الدماء التي أُريقت وهي تقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الأوائل في معارك الإسلام الكبرى كبدر وأُحد... حتى قال قائلهم:

قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلنا ميل بدر فأعتدل

مرحلة السبي

والمرحلة الثالثة هي مرحلة السبي للبقية الباقية ممن شارك الإمام عليه السلام في رفضه وحضر في مواجهته وكان جلُّهم من الأسرى والعيال والأطفال، هذه المرحلة التي بدأت بسلب الخيام وحرقها وسحق الأطفال وسوق النساء والطوف بهن بالمدن والأسواق، وخير ما وصف السبي هي بطلته عليها السلام وهي تخاطب يزيد «أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني

والشريف ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي..»، تميزت هذ المرحلة:

* إملاءً من قبل الله سبحانه وتعالى على الحزب الأُموي ومن تبعهم وبعد أن فعلوا ما فعلوه ليزدادوا إثماً، وهذا ما استشهدت به السيدة زينب عليها السلام في محضر يزيد من القرآن الكريم:

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ }[1].

* زيادة في أجر من لم يرزق الشهادة مع الحسين عليه السلام لسبب وآخر ولحكمة إلهية وأُخرى.

* فضح جرائم الحزب الأُموي وعرضها على الناس وفي أكثر من موطن ومحفل وبيان الحقيقة ووضع النقاط على الحروف كما يعبرون، فيذكر لنا التاريخ أنّ خطاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام وخطاب السيدة زينب عليها السلام في قصر الطاغية كان له الأثر في نفوس الناس وكما يعبر المؤرخون حدوث (دمدمة وزمزمة عظيمة وتفرق الناس وقد صلى بعضهم وترك الصلاة آخرون)، وقد أنكر فعل يزيد حتى ممثل الروم وبعض رجال دين اليهود الذين حضروا الاحتفال الذي أقامه اللعين بمناسبة الانتصار على أهل بيت النبوة.

* كانت السيدة زينب عليها السلام بطلة هذه المرحلة، تحملت أعباء العيال والسبي بعد أن فقدت إمامها وإخوتها وأبناءها وأهل بيتها وأصحابها وتركتهم مضرجين على رمضاء العزة والكرامة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

مرحلة إظهار الحزن والندم ومحاولة اللحوق بالركب الحسيني المقدس

والمرحلة الرابعة، هي مرحلة إظهار الحزن والندم ومحاولة اللحوق بالركب الحسيني المقدس وتمثلت ببعض ثورات الثائرين الذين لم يوفقوا للجهاد بين يدي ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم انحسرت بإقامة مجالس الحزن وإظهار الجزع وإحياء الذكرى والاعتبار من دروسها، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، وفيها شيء من إعلان الرفض الحسيني وفضح جرائم المعسكر الأُموي والاستعداد للمرحلة الأخيرة من مراحل الثورة.

تتميز هذه المرحلة بأهميتها القصوى من حيث قيامها بربط مراحل الثورة المتقدمة الثلاث بالمرحلة الأخيرة التي ستخرج بها الثورة المباركة بكامل أهدافها.

دعم هذه المرحلة جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام من ولد الإمام الحسين عليه السلام، فأصّلوا بعض أشكال أركانها ودعموا بعض تفاصيلها وتحت أصعب الظروف وأخطرها عليهم وعلى المؤمنين من أتباعهم، رغّبوا وحدّثوا عنها حتى أصبحت لها مادة شرعية وعقائدية وعقلية ونفسية غنية يتزود منها كل من يريد المساهمة والاشتراك في شرف بناء وديمومة هذه المرحلة، فعن أبي عمارة المنشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي:

«يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي».

قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فو الله ما زلت أنشدته ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار، قال: فقال:

«يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعراً فأبكى خمسين فله

الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى له فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة»(١).

أهم ما يميز هذه المرحلة هي إمكانية وصفها بالنار تحت الرماد والتي أقلقت عروش الظالمين، أخبرت عليها السلام يزيد بهذه المرحلة والتي بعدها وهي العالمة غير معلمة «ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً.....» وقالت عليها السلام: «فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها أبداً، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين».

تتميز هذه المرحلة كما قلنا بأنّها مصنع تحقيق شرائط وأركان المرحلة المقبلة والأخيرة من مراحل الثورة الحسينية المقدسة، بل مصنع ضمانات تحقيق الغرض الإلهي ككل، ومن هنا ندرك أنّ القضية الحسينية حلقة ضرورية من حلقات التخطيط الإلهي العام وكما سيأتي..!

مرحلة أخذ الثأر

أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة أخذ الثأر والتي ستحمل عنوان الفصل الأخير من فصول عاشوراء، والتي ستتميز:

* بإعلان بدايتها ورفع لوائها من قبل الإمام الحجة عليه السلام وهو رافعاً

---

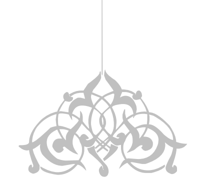
(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٢.

شعار يا لثارات الحسين، متخذاً ذلك المسير الحسيني في المدينـة إلى مكـة ومـن ثم إلى الكوفة.. .

* فيها ستتحقق أهداف الثورة الحسينية المقدسة والمتمثلـة بالإصـلاح الـذي سيمتد إلى جميع أنواع وأشكال الفساد حتى يستقر علـى الأرض بـل في كـون هـذا الوجود الحق المطلق.

* فيها يبدو جلياً ذلك التخطيط الإلهي المتـرابط وعلـى طـول خـط الأنبيـاء والأوصياء وكأنّه سلسلة متصلة من الأحداث والفصول وكل حلقاتها تمثـل نتيجـة للتي قبلها ومقدمة طبيعية للتي تليها، وفيها تبدو زيارة وارث للإمـام الحـسين عليـه السلام أكثر وضوحاً لمؤديها وهو يردد (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله..... الزيارة)... .

هذا باختصار ما أردنا عرضه من أهم أدوار ومراحل الثورة الحسينية المقدسة وتوضيح فصولها التي لم تنته بعد. بل لـك أيهـا القـارئ اللبيـب أن ترسـم وتخطـط تقسيماً آخر لمراحل هذه الثورة، فهي قضية غنية بالمعطيات وعميقة في سـبر أغـوار الفقرات التي تتألف منها.



المبحث السابع: ما هو التكليف الشرعي المستفاد من الثورة الحسينية

لا أريد الخوض في بحث فقهي ولست ممن يجيد الخوض في هذا المضمار ولكن نبتغي ما طلبناه في كتابة هذا البحث وهو تسليط ضوء على جانب من جوانب هذه النهضة المباركة واستنطاق الفكر فيها واستخلاص العبر إن شاء الله تعالى.

إنّ من أهم وأوسع مصادر التشريع الإسلامي في الفقه الإمامي هو قول وفعل وتقرير المعصوم، فالقول: الكلام الذي يخرج من الإمام وفيه أمر أو نهي أو إرشاد... الخ.

والفعل: هو العمل الذي يصدر من المعصوم ويؤديه بنفسه من غير أن يتكلم مثل طريقة حجه أو حركات صلاته... الخ، أما تقريره: فيعني أن يقوم شخص ما بأداء عمل أو لفظ قول والإمام يسكت عنه، وطبعاً.. لكلٍّ من القول والفعل والتقرير مباحث وفروع لدى العلماء والفقهاء ليس لنا الدخول بها، فأعمالهم وأقوالهم تشريع، والأصل أن يؤخذ منهم الميزان العلمي والشرعي ولا يعرضون عليه، وتستحضرني حكمة إن لم تكن واقعة حقيقية تتضمن شخصاً سأل

فقيهاً بأنّه لو وردك بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام (وحاشاه) قد شرب خمراً فماذا تقول، فقال إذا ثبتت الرواية فأقول بأنّ الخمر حلال.

إذن، لابد أن يُستنبط من هذه الواقعة تكليفٌ شرعيٌّ أو عدة تكاليف شرعية، والعمل بهذه التكاليف الشرعية هو الإحياء الحقيقي لها. نعم للحسين عليه السلام تكليفه الخاص وللقضية الحسينية علمها الغيبي الخاص بها ولكننا لا يمكن أن نجردها من الفائدة بل الأصل هو هذا، فهو القائل في أصحابه وأصحاب الحر «فلكم فيّ أسوة».

ذكر في كلماته فضلاً عن أفعاله تكاليف تخص الإمام والمأموم على مرِّ العصور، فهو القائل[١]:

«فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله».

ومما قاله في منزل (البيضة):

«أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

وهنا وطلباً للفائدة والاختصار نعرض بحثين مختصرين يمثلان تكليفين شرعيين مستفادين من القضية الحسينية هما:

(١) مما تضمنته رسالته التي أرسلها بيد مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أهل الكوفة.

* الأول: متى يكون الخروج ضد الحاكم واجباً.

* الثاني: كلمة في (الإصلاح).

الأول: أحكام الخروج على الحاكم؟

وهنا سنلخص بحثاً للسيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره الشريف(١) حول هذا الموضوع بالخصوص وهو يتناول جوانب من الثورة الحسينية المباركة:

يمكن تصور أشكال الحكم:

* أن يكون حكماً قائماً على أساس قاعدة هي الإسلام. ومعنى قيام الحكم على أساس قاعدة هي الإسلام: أنّ هذا الحكم يتبنى الإسلام كنظرية للحياة، وكأساس للتشريع والتقنين، وكرسالة يحملها في كل مجالات نشاطه ووجوده.

* أن يكون حكماً على قائماً أساس قاعدة أخرى غير الإسلام: بمعنى أنّ الحكم قائم على أساس قاعدة فكرية كافرة، لأنّ أي قاعدة فكرية غير الإسلام كفر، وسيكون الحكم عندئذ كافراً سواء كان الحاكم مسلماً أو غير مسلم.

ثم يقسم الحاكم في ظرف الحكم الإسلامي إلى ما يلي:

* أن يكون الحاكم معصوماً بمقاييس القاعدة الإسلامية: فعلى الأُمّة المواكبة لخطته ولحركته.

* الحاكم غير معصوماً ولكنه منسجمٌ مع قاعدة المقاييس الإسلامية، كنائب المعصوم: على الأُمّة المواكبة وفي حالة وقوعه في خطأ فعلى من يكتشف هذا الخطأ أن ينبه الحاكم قدر الإمكان على خطته ويوضح وجهة النظر الأخرى التي

(١) محاضرة ألقيت في ٢٥ شوال ١٣٨٨هـ.

يؤمن بأنّها أكثر تمثيلاً للإسلام، فإنّ أخذ به فخير وإلا فيجب على الأُمّة الاتباع سواء من اعتقد الخطأ أو ممن لا يعتقد بذلك. أما إذا انحرف هذا الحاكم عن مقاييس القاعدة فإنّ صفة المشروعية تسحب عنه.

* الحاكم غير منسجم مع مقاييس القاعدة الإسلامية: فهنا حالات:

١. الحالة الأُولى: إذا كان الحاكم يشكل خطراً على القاعدة وعلى المعالم الرئيسة للشخصية الإسلامية للمجتمع ففي مثل ذلك يصبح الحكم حكماً جهادياً.

٢. الحالة الثانية: لا يشكل خطراً على القاعدة ولا معالم المجتمع الإسلامي ففي مثل ذلك يتحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه، وللأُمة أن تمارس حقها في الدفاع عن حقوقها.

أما إذا كان الحكم كافراً فإنّ الحكم يكون مشابهاً للحالة الثانية من حالات (الحاكم غير منسجم مع مقاييس القاعدة الإسلامية).

فهذا حكمٌ وبحثٌ فقهيٌّ مستنبطٌ من الثورة الحسينية المباركة، فالحاكم منحرف ومتسلط على المسلمين باسم الإسلام ومستأثر بالخفاة وهي بعيدة عنه بكل المقاييس الإسلامية وكان التكليف هو القيام.

الثاني: كلمة في (الإصلاح)

وسنتناوله ضمن عدة تعليقات:

التعليقة الأولى

لقد أكد الدين الإسلامي من خلال القرآن الكريم وسيرة وأقوال قادته الحقيقيين على العمل ودعا إليه بل جعله قريناً للإيمان بل بدونه لا يساوي الإيمان شيئاً، والعمل بصورة إجمالية يمكن تقسيمه على قسمين رئيسين هما:

* العمل الصالح.

* العمل السئ.

والأول ما استفاضت على تأكيده وحثت إليه آيات القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام:

* قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ }[١].

* قال تعالى: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ }[٢].

* قال تعالى: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }[٣].

كما يمكن تقسيم العمل بصورة عامة على قسمين آخرين اعتماداً ليس على العمل نفسه بل على القائم به والُمقام لأجله وهما:

* العمل الفردي.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

* العمل الاجتماعي.

وإنّ الملاك الذي على أساسه يمكن وصف العمل بأنّه فردي أو اجتماعي هو:

١. العمل الاجتماعي هو ما تكلف فيه الأُمّة والجماعة بأدائه، بينما الفردي هو ما يكلف الفرد دون المجتمع بأدائه. والأول حسب المصطلح الفقهي يسمى بالواجب الكفائي (أي بالأصل تكون الأُمّة مكلفة به ولكن إذا قام به واحد أو ثلة من الناس سقط عن الآخرين) والثاني يسمى بالواجب العيني الذي على الفرد الإتيان به وإن قام بأدائه غيره.

٢. العمل الاجتماعي تعم فائدته المجتمع بصورة أكبر بينما الفردي تكون فائدته للفرد العامل بصورة أكبر.

وعليه عند توزيع التقسيم الأول للعمل على التقسيم الثاني تنتج لنا أقسام أربعة للعمل هي:

* العمل الصالح الفردي: ويسمى بـ(الصلاح).
* العمل السيئ الفردي: ويسمى بـ(الفساد).
* العمل الصالح الاجتماعي: ويسمى بـ(الإصلاح).
* العمل السيئ الاجتماعي: ويسمى بـ(الإفساد).

من هنا نعرف ما هو مقصود أبي الأحرار عليه السلام عندما قال:

«خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي».

التعليقة الثانية

إنّ الفرد الفاسد ليس له تأثير مباشر وكبير في المجتمع مقارنة بتأثير المفسد، وكذلك الصالح يكون ذا تأثير إيجابي بسيط وقليل مقارنة بالمصلح. ولهذا لابد أن يكون هنالك نوع من المعادلة في المجتمع، فإذا انتشرت في مجتمع ما عناصر إفساد وإضلال فلابد من التصدي للهداية والإصلاح وإلا تكون النتيجة بشعة في ذلك المجتمع، قال تعالى:

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ }[١].

وقال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }[٢].

التعليقة الثالثة

إنّ العمل الاجتماعي الصالح (الإصلاح) هو أفضل وأشرف وأعلى درجة من العمل الفردي الصالح (الصلاح) لأدلة نذكر منها:

* إنّ الإصلاح هو وظيفة الأنبياء والأوصياء وأتباعهم من الأولياء والصالحين، فهذا شعيب عليه السلام مخاطباً قومه:

{ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }[٣].

* القاعدة القرآنية تنص على:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٨.

{ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }[١].

* العمل الاجتماعي غالباً يشمل الثواب الفردي والاجتماعي معاً، لأنّك عندما تصلح إنساناً وتهديه إلى سبيل الرشاد فإنّك ستشاركه في عمله لا محالة.

التعليقة الرابعة

لمن يتصدى لوظيفة الإصلاح عليه أن يكون:

* صالحاً في نفسه مؤدياً لما يأمر به منتهياً عما نهى عنه.

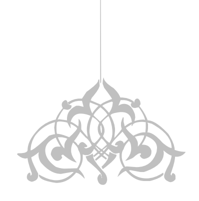
* أن يتبع ويختار أفضل الطرق والآليات اللازمة لإصلاح القضية المتبناة من قبله وأن لا يتبع قاعدة الغاية تبرر الوسيلة وعليه أن يكون حذراً شديد الحذر من الوقوع في المخالف الشرعي.

* أن يتحلى بالصبر والتحمل وعليه أن لا يقنط وإن تأخر حصول النتيجة.

إلى غيرها من الوصايا القرآنية ووصايا المعصومين والمصلحين لمن أراد أن يتوسع.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.



المبحث الثامن: من مكتسبات الثورة الحسينية

مقدمة تحليلية

مرّ الإسلام بعدة مواجهات ومجاهدات (معارك ــ ثورات ــ محاججات ــ مباهلات....)، ولا يزال يمر بها، ولكل مواجهة مقدماتها وأسبابها ونتائجها والحكمة التي استندت إليها، ونستطيع أن نقسم تلك المواجهات على نوعين:

الأول: مواجهات ومجاهدات هدفها تثبيت الدين الإسلامي وزرعه في نفوس الناس ومزاحمته للأديان الأُخرى حتى يكون هو الدين الوحيد على وجه هذه الأرض بل في هذه الحياة الدنيا، وامتاز هذا النوع من المواجهات بعدة مميزات:

١. إنّها أخذت الجانب الأكبر من حياة الدين الإسلامي في الصدر الأول للإسلام وخاصة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصور من استخلفه من بعده (بغض النظر عن مشروعية ذلك الاستخلاف..!).

٢. يكون طرف المواجهة الآخر هو غير المسلم عادة.

٣. لهذه المعارك الفضل الأكبر في نشر الدين الإسلامي وتثبيت قواعده وبها توسعت إمكانيات الدين البشرية والمادية ووصل على أقاصي الأرض.

٤. بها يظهر الدين الإسلامي والمسلمون أكثر وحدة وتماسكاً أمام غير المسلمين.

الثاني: مواجهات ومجاهدات هدفها الوصول إلى أعلى درجات الإسلام وعلى مستوى العقيدة والسلوك والأخلاق، إسلام غير متجزء وينفذ إلى جميع مفاصل الحياة، هذا النوع تميز أيضاً بمميزات منها:

١. استمرت هذه المجاهدات وتمادت منذ صدر الإسلام وحياة الرسول الأكرم إلى يومنا هذا، إلاّ أنّها تختلف قوة وضعفاً من مرحلة إلى أُخرى.

٢. عادة ما تقع داخل الإطار الإسلامي، أي بين المسلمين أنفسهم، وعادة ما تنتج بسبب اختلاف تأويل أو تكالب على سلطة أو بزوغ نزعة عصبية أو حسد أو حقد دفين... الخ.

٣. لهذا النوع من المواجهات الفضل ببيان مسار الإسلام الحقيقي ونصوع بريقه وتميزه عمن لم يفهم الإسلام أو من اتخذه عنواناً لا مضموناً من أجل مآرب أُخرى.

٤. بها يظهر المسلمون أقل تماسكاً وأكثر ضعفاً أمام الآخرين.

وبعد هذا التقسيم السريع لمواجهات ومجاهدات المسلمين، نقول إنّ أهل بيت النبوة شاركوا بل قادوا كلا نوعي المواجهات وإن كانت مواجهات النوع الثاني تأتيهم عنوة واضطراراً، بذلوا مهجهم ونذروا حياتهم من أجل تثبيت هذا الدين إلا أنّهم عانوا ما عانوا في مواجهات النوع الثاني، لم تحفظ لهم حرمة ولم يبقِ لهم الآخر طريقة من طرق الظلم والتنكيل إلا مورست بحقهم، شُتموا وطُعنوا وسُموا وذُبحوا وسُبيت عوائلهم ونُهبت أموالهم واغتصبت حقوقهم وأُحرقت ديارهم... .

إلاّ أنّهم خرجوا من كل تلك المواجهات والمجاهدات فاتحين منتصرين،

لولاهم لما بقي لدين الله باقٍ، بهم حُفظ هذا الدين، وبهم سما.

قاد أمير المؤمنين عليه السلام معارك ومواجهات ضد الانحراف الذي خطه من خطه بعد أن غمضت عين الرسول حتى أُردي صريعاً في محرابه، وشنت الزهراء عليها السلام غارة على من ادعى خلافته لأبيها حتى كانت أول أهل بيتها لحوقاً بأبيها صلوات الله عليهما وهي تحمل معها آهات وآهات.

جاهد أبو محمد الحسن عليه السلام حتى طعن وسم في سبيل الاستمرار في رفع راية الإسلام الحقيقي.

وهذا الطف من أوضح أشكال النوع الثاني من تلك المواجهات، خرج الإمام الحسين عليه السلام ليرسم معالم الإسلام المحمدي الصحيح ويضع العلامات البارزة والمحذرة لكل منعطفات الطريق ويضمن استمرار مسيرته التكاملية إلى أن يصل إلى هدفه المنشود وإن كان الثمن غالياً.

مكتسبات الثورة

إذن: تارة نتكلم عن الثورة الحسينية بأنّها تكليف شرعي أداه الإمام عليه السلام بعدما علم أنّ وظيفته القيام بالثورة، وهذا بحد ذاته يغني عن البحث ومحاولة إيجاد مكتسبات وثمرات مقتطفة للثورة الحسينية المباركة. وتارة أُخرى نرى من الواجب معرفة مكتسبات الثورة على المدى القريب والبعيد للثورة لعدة أُمور:

١. إنّ الإمام عليه السلام ومن قام بالثورة معه نوّهوا إلى قابل الأيام وما تتضمنه من انتصارات للإسلام والمسلمين وأنّ الجيش المقابل إن حصد النصر الدنيوي العاجل فإنّ النصر الحقيقي مؤجل، فمما قاله عليه السلام:

«أما إنّه لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون...»».

ومما قالته الحوراء زينب عليها السلام في بلاط الإمارة الأُموية «فكد كيدك، واسع سعيك وناصر جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا تدحض عنك عارها...».

وهكذا وضّحوا لهم بأنّ المستقبل لهم وأن لا يغتروا بانتصار بني أُمية وأذنابهم لأنّهم سرعان ما يصيبهم العار والشنار وتضرب عليهم الذلة.

٢. إنّ ذكر مصاديق انتصار الثورة على المستوى البعيد واستمرار ذلك يعتبر تعظيماً لها ورفعاً لشأنها، بالإضافة إلى إدراك الدور الذي قام به أصحابها.

٣. هذه المكتسبات بذاتها تكون رداً على جميع الشبهات والاستفهامات التي توجه إلى هذه القضية ومن قبل المؤالف والمخالف على حدٍّ سواء.

٤. معرفة مكتسبات الثورة ضرورة لمن أراد أن يستفيد منها أولاً ولمن أراد أن يحافظ عليها ثانياً وكلاهما واجبان.

إذن علينا أن نتعرف على هذه المكتسبات المستحصلة والمستفادة من الثورة وعلى المستويين، القريب والبعيد. وسنذكر منها إن شاء الله ما يهدينا إليها الله جلّ وعلا:

أولاً: فضح بني أُمية خصوصاً وخط الانحراف بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه العموم

لا شك أنّ الأُمّة دخلت بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

في دوامة من نوع آخر تختلف شكلاً ومضموناً عمّا كانت عليه قبل ذلك، فكان همُّ المسلمين وعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو إكمال الدين وتقويته ونشره إلى الآخرين والدفاع عنه من كيد المشركين والكفار والمنافقين، أمّا بعد ذلك فقد نشب صراع داخل الصف الإسلامي يتضمن عدة جبهات (عقائدية ـ تشريعية ـ قضية تأويل وتفسير القرآن ـ قضية جمع آثار الرسول وسنته ـ... الخ)، بالإضافة إلى أول قضية لها علاقة مباشرة ومستقبل الرسالة تتمثل بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا التصدع والصراع الداخلي في جسد الأُمّة الإسلامية الفتية أدّى إلى انحراف عن خطها الذي خطه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخروج عن الجادة التي أراد أن يسلكها المسلمون من بعده، أما تفاصيل وأسباب ونتائج هذا الانحراف فهي خارج موضوع هذا الكتاب إلا أنّنا نكتفي أنّ من أسوأ نتائجها هي البدأ بمخطط قتل أهل بيت النبوة وتصفيتهم حتى كانت قصة قتل سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه وأهل بيته في كربلاء وحصول القضية التي نتناول دراستها هي من أوضح مصاديق الانحراف.

عموماً... وكما قلنا فإنّنا لسنا بصدد الحديث عن الجهل الذي أصاب قسماً من الأُمّة (أو تجاهل...!)، وإنّما نريد أن نتطرق إلى الجهل المركب الذي أصاب القسم الآخر من الأُمّة وجعلهم أداة بيد القسم الأول لتحقيق مصالحهم ومآربهم، انطلت على أصحاب هذا القسم مكائد قادة خط الانحراف وجعلهم يعتقدون بشرعية وجودهم على رأس هذه الأُمّة وأنّهم يمثلون الاستمرار الشرعي والطبيعي لخط الرسالة المحمدية المقدسة.

وعندها ظهرت جبهة جديدة من قبل هؤلاء أصحاب الجهل المركب (كما عبرنا عنهم) تحتاج إلى مجابهة من قبل خط الرسالة الأصيل والمتمسكين به وهم مع الأسف الثلة القليلة من الأُمة، فهم بالإضافة إلى مسؤوليتهم اتجاه قادة الانحراف ومحاولة ثنيهم عن عزيمتهم الباطلة واسترجاع المسار المنحرف شيئاً فشيئاً إلى المسار الصحيح، حاولوا إبصار رعاع الناس وجهلتهم من الانجرار وراء ذلك الخط المنحرف.

ولهذا سلك الأئمة عليهم السلام طريقاً يتضمن سلسلة من الحلقات والآليات والطرق المختلفة في سبيل إيقاف القسم الأول وفضحه عند القسم الثاني.

فكانت الثورة الحسينية المباركة شمساً مسفرة في ظلام العتمة الأُموية التي كانت حينها الابن غير الشرعي لذلك الانحراف المشؤوم، ظهروا على حقيقتهم وكشّروا للناس عن أنيابهم ومخالبهم ونزعوا قناع المكر والخديعة بهتكهم حرمة الإسلام والمسلمين بقتلهم الحسين عليه السلام وأهل بيته.

نجحت هذه الثورة في تحقيق هذا الهدف وكُشف عن خط الانحراف آخر غطاء بعد أن فضحتهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء وكذلك أمير المؤمنين عليهما السلام ومن بعده الإمام الحسن صلوات الله عليه وجاءت الثورة الحسينية المباركة ووضعت النقاط على الحروف كما يعبرون.

وعليه: نستطيع أن نقسم المسلمين في تلك الفترة التي وقعت فيها واقعة الطف إلى قسمين:

١. قسم يعرف أحقية الحسين عليه السلام: وهم على أربعة طوائف:

الأُولى: تعرف أحقية الإمام وجاهدت معه وأدركت الفتح حسب تعبير الإمام عليه السلام.

الثانية: تعرف أحقية الإمام إلا أنّها لم توفق لنصرته رغم استطاعتهم على ذلك ولم تقف ضده.

الثالثة: تعرف أحقية الإمام إلاّ أنّهم لم يمكنهم ذلك بسبب السجن أو وصوله متأخراً أو لمانع آخر.

الرابعة: تعرف أحقية الإمام عليه السلام إلا أنّها وقفت ضده تحت مفهوم (قلوبهم معه وسيوفهم عليه).

٢. قسم جاهل بأحقية الإمام عليه السلام وقد غرر بهم وهم على طائفتين:

الأولى: جاهل ولكنه لم يقف ضده سواء كان من تلقاء نفسه أو لمانع منعه.

الثانية: جاهل ووقف ضد الإمام عليه السلام.

ثانياً: كسر حاجز الخوف وضعف الإرادة في نفوس المؤمنين

وهذا مرض أُصيب به قسم ممن يعرفون أحقية الإمام عليه السلام ولكنهم لم تساعدهم عزيمتهم وإرادتهم، ولقد تطرقنا إلى هذا القسم والمرض المتعلق به وكيف أنّ الإمام عليه السلام ومن خلال ثورته استطاع أن يكسر هذا الحاجز النفسي أثناء الواقعة وبعدها من خلال سلسلة من الثورات العلوية وغير العلوية.

ثالثاً: تأصيل مبدأ الوقوف ضد الحاكم الجائر

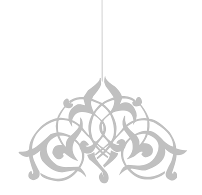
استطاعت هذه الثورة المباركة أن تأصّل مبدأ الوقوف ضد الحاكم الجائر ومواجهة طغاة البشرية بما أمكن وبذل الغالي والنفيس في سبيل المبادئ والقيم

ورفض الذل والخنوع وسلب الحقوق وإخلال نظام توزيع الواجبات. علماً بأنّ هذا المبدأ هو من تأصيلات القرآن الكريم حيث نقل لنا هذا السفر العظيم جملة من مواجهات الأنبياء مع طواغيت عصرهم، فذكر لنا مواجهة إبراهيم الخليل مع النمرود، وموسى مع فرعون، وحيث إنّ الأئمة صلوات الله عليهم هم المصداق الأكبر للقرآن وثقله، وهم ترجمان مفاهيمه وتفاصيل كلياته، استطاعوا أن يجعلوا تلك القوانين الإلهية مصداقاً خارجياً وكياناً ملموساً.... ولله الحجة البالغة.

رابعاً: رسم ملامح وتوضيح أخرى خاصة بمذهب الحق وتفريقه عن باقي الخطوط والتيارات

إنّ المذهب الذي اتبعه أهل البيت عليهم السلام هو عين الدين الذي أسسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومذهب صحابته الخلّص الذين فهموا ووعوا رسالة السماء وساروا على نهج وهدي رسولها صلى الله عليه وآله وسلم. إلاّ أنّ أحداثاً حصلت بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أدت إلى إضفاء خصائص لهذا المذهب وتأصيل أُخرى وتوضيح وإبراز ثالثة، أصبحت لهذا المذهب فرقاناً يميزه عن باقي المشارب والمذاهب.

وكانت الثورة الحسينية المباركة ممولاً ثراً له بل ومادة لا تنضب حتى يومنا هذا. فبعد هذه الثورة يعرف الشيعي من خلال رفضه للظلم والطغيان والتجرء على مبادئ الدين وإذلال المسلمين ومن خلال روحه الثورية وعقيدته الحماسية واستعداده لبذل النفس والنفيس في سبيل العقيدة الحقة. حتى أصبح مذهب أهل البيت صرخة تهز عروش الجبابرة حتى وهم قاعدون.



المبحث التاسع: كيف ننقل الثورة الحسينية إلى الآخرين

تعتبر الثورة الحسينية تجربة بشرية وخزيناً فكرياً وعملياً يجب أن يستفيد منه كل إنسان بل كل أُمة بغض النظر عن الدين أو القومية التي تنتمي لها. إلاّ أنّ المشكلة تكمن في نقطتين:

الأُولى: فهم الثورة الحسينية فهماً واقعياً ومعرفة أسبابها وأهدافها التي قامت من أجلها.

الثانية: طريقة وأُسلوب النقل إلى الآخر.

فإذا ما استطعنا أن نجيد الخروج من هاتين المشكلتين فالثورة ضامنة لنفسها الدخول في قلب وعقل كل إنسان.

نعم.. لم يقصّر أتباع مذهب أهل البيت في إحياء الثورة ومحاولة تصديرها إلى الآخرين مضموناً وعملاً، إلاّ أنّه ولظروف قاهرة وعمل دؤوب من قبل أعدائها أدّى إلى أن قولبت مظاهر وطرق الإحياء والنقل والتصدير بقوالب مصممة على الأكثر لعدة أغراض:

* طرق خاصة بأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بل للمحبين منهم خاصة وللمتأثرين بالفاجعة والذين حملوا في قلوبهم جمرة غير قابلة للانطفاء لعظم المصيبة.

* بعض مظاهر وطرق نقل الثورة هي ردة فعل خاصة بالهجمات التي شنها أعداء المذهب بهدف القضاء عليه واستئصال أمره.

* بعضها ملائم للحالات الخاصة والظروف القاهرة التي مرَّ فيها أتباع أهل البيت من تشريد وتنكيل وخوف ورعب وإرهاب.

* بعضها تميزت بقابلية الاستمرار والبقاء وبطريقة تلازم الأجيال، فتناقلتها الأجيال المتعاقبة وحملتها كموروث ديني يستحق بذل كل ما يملك الإنسان من أجله.

* بعضها كان الطريقة المناسبة في حينها وأعطت ثمارها المرجوة وبأفضل شكل ممكن.

نعم... فإنّ بعض طرق الإحياء والنقل جاء عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام وأُيد من قبلهم ومن قبل أتباعهم من العلماء وعظماء المذهب رضوان الله عليهم إلاّ أنّ هذا لا يعني عدم اتّباع أساليب وطرق أُخرى تتناسب والوضع القائم وطبيعة المتلقي بشرط عدم الخروج عن المحددات الشرعية ولا اتخاذ الطريقة غير المنسجمة مع قدسية الثورة أو هدفها الذي قامت من أجله.

وهنا لابد أن نذكر بعض الخطوط العامة التي تنسجم في أيامنا هذه مع معترك الطرق والأساليب التي تنقل لنا توجهات الآخرين ومعتقداتهم ومنها:

١. البحث عن نقاط الالتقاء الواقعية بين مبادئ الثورة الحسينية وأهدافها ومعتقدات ومبادئ الآخرين وأهدافهم والتركيز عليها، فلابد من وجود نقاط تشابه والتقاء مع الكثير من النظريات المطروحة في الساحة، فنحاول أن نوضح للآخر بأنّ الثورة الحسينية تحمل هذه الأفكار والثوابت نفسها، وبهذا نكون قد فتحنا قناة تواصل وأبواب تفاهم مع الآخرين، وهذا مذهب قرآني فنلاحظ أنّ الله جلّ وعلا يعلّم رسوله الكريم إحدى آليات الاتفاق مع أهل الكتاب، وهي الرجوع إلى نقاط الالتقاء المشتركة، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١].

٢. علينا أن نصحح الأفكار والانطباعات الخاطئة والواصلة أو المتصورة من قبل الآخر على الثورة الحسينية المباركة وتوضيح الوجه الصحيح والمشرق لها. فإنّ طبيعة الإنسان وهو خارج عن إطار معين تكون له قراءة تختلف عن قراءة ذلك الآخر في داخل ذلك الإطار.

٣. علينا أن ننقل ونوصل ما لم ينقل للآخر ومحاولة سد النقص في جوانب الثورة عند الآخرين، فإنّه بلا شك لا يعرف الآخر ما نعرفه نحن، ولم يستوعب الفكرة كما استوعبناها.

٤. محاولة تجنب استفزاز الآخر من خلال ضرب معتقداته أو مبادئه أو

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

ثوابته، بل الطريقة الأصح هو توصيل الثورة مع بعض نقاط المقارنة الصحيحة ليقوم هو بنفسه إجراء المفاضلة.

٥. علينا تجنب استخدام بعض أساليب الإحياء أو النقل التي لا تنسجم إلا للخواص أو ممن لديه حظ من إدراك فلسفة الثورة الحسينية والإيمان بها.

٦. استخدام القنوات والأدوات التي اعتاد الآخرين التلقي منها واستزادة المعلومات من خلالها بشرط مراعاة الحدود الشرعية وقدسية الواقعة كما قلنا آنفاً.

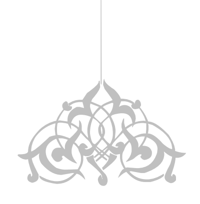
٧. أن يتصف من يمارس عملية إيصال الثورة للآخرون بمواصفات أتباع أهل البيت عليهم السلام التي بيّنوها في أكثر من مناسبة لأتباعهم، قال تعالى عن لسان شعيب:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[١].

ومن أهم ما يجب أن يتصف به هو الإخلاص لله جلّ وعلا وأن لا يكون عمله لأغراض نفسية أو دنيوية ضيقة.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.



المبحث العاشر: تكليفنا اتجاه القضية الحسينية

ترشحت عن القضية الحسينية المباركة عدة تكاليف متنوعة ومتغيرة بتنوع وتغير الزمان والمكان والشخص والحال.... الخ، وسنحاول في هذا البحث المختصر أن نذكر قسماً منها:

الواجب الأول: القيام والثورة

كثير من المسلمين فهموا أنّ التكليف الشرعي الملقى على عاتقهم اتجاه القضية الحسينية المباركة هو القيام والخروج على الحاكم الظالم وشن الحملات وإدلاع الثورات، فهموا أنّ أفضل طريقة لإحياء هذه القضية هو القيام بمثلها، هؤلاء سمعوا واعية الحسين عليه السلام ونصروه حتى بعد مقتله صلوات الله عليه، إلاّ أنّ الملاحظ أنّ هذا الواجب تركز بشكل أساسي عند الأجيال القريبة من عصر الواقعة. وعلى هذا الأساس اندلعت العديد من الثورات على غرار واقعة الطف من قبل العلويين وغير العلويين، وما ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد، وثورة زيد بن علي، وانتفاضة يحيى بن زيد، والحجاج بن عبيد الثقفي، وثورة عبد

الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار، وأبي مسلم الخراساني، وإبراهيم أحمر العينين؛ إلاّ أمثلة واضحة لتطبيق هذا التكليف وهذا النوع من الواجبات.

أما موقفنا نحن الآن فنقول: الواجب هو اتباع الفقهاء العدول المأمونين على الدنيا والدين ولا يمكننا التحرك بدون أخذ الإذن لأنّهم نواب إمام العصر عليه السلام والآذونون من قبله بالإضافة إلى أنّهم الأعلم بالمصلحة.

الواجب الثاني: الحفاظ على مكتسبات الثورة وخاصة فضح الخط الأُموي المنحرف

وهذا النوع من التكاليف له بالغ الأهمية وقد تعددت أساليبه، فتارة يكون بحفظ ونقل مجريات المعركة والطريقة المتوحشة التي قتل بها الإمام الحسين عليه السلام، وتارة يكون عن طريق توضيح الأسباب التي دعت الإمام عليه السلام إلى القيام وأُخرى عن طريق بيان الحق وإثباته إلى جانب الحسين عليه السلام وأهل البيت والباطل في الجانب الأُموي المنحرف.

نجح هذا التكليف أيما نجاح وأمحق الخط الأُموي وفضح نواياه، ومن أهم من تبنى هذا النوع من التكاليف هم أئمة أهل البيت عليهم السلام واستمر به أتباعهم بكل ما أوتوا من قوة إلى يومنا هذا.

الواجب الثالث: استذكار الثورة وتعظيم شأنها وإحياء أمرها على مرِّ الليالي والأيام

وهذا النوع تكفّله عامة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فلم يفتروا من تعظيم الشعائر الحسينية التي ندبهم إليها أئمتهم عليهم السلام وتفننوا

واجتهدوا في طريقها فمما روي عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال:

«من ذُكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر».

وروي أيضاً عن آل الرسول عليهم السلام أنّهم قالوا:

«من بكى أو أبكى فينا مائة ضمنا له على الله الجنة، ومن بكى أو أبكى خمسين فله الجنة، ومن بكى أو أبكى ثلاثين فله الجنة، ومن بكى أو أبكى عشرة فله الجنة، ومن بكى أو أبكى واحداً فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة».

هذه الشعائر التي ما زالت تزلزل عروش الظالمين وتنزل على رؤوسهم اللعنة، لم يقصّر أتباع أهل البيت من ذرف الدموع وإبراز مظاهر الحزن والتعبير عن الجزع عند استذكار ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه صلوات الله عليهم أجمعين، هذه الشعائر التي صمدت أمام جميع محاولات الطواغيت والفراعنة من أحفاد معاوية ويزيد عليهم لعنة الله، بذل من أجلها المؤمنون أموالهم وأنفسهم وأولادهم في سبيل الحفاظ عليها ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة.

المقصد الثاني: التاريخ العلمي

التاريخ العلمي، بمعنى تناول التاريخ ضمن اعتقاد مسبق بأنّ التاريخ يعيد نفسه من جانب وأنّ الكثير من المعتقدات والمسلمات والضروريات التي ورثناها تكمن فلسفتها وتفاصيل تكونها في أغوار التاريخ وصفحات الماضي.

فإذا كان المقصد الأول مبرراً ومباحاً، فالثاني واجب عقلاً. وإنّ كل المساوئ والسلبيات المرافقة لتلك الدراسة ـ إن وجدت ـ تهون وتتضاءل أمام تلك الفائدة.

فالقضية الحسينية هي إحدى أهم مفردات العقيدة الشيعية من ناحية وإحدى التجارب المهمة التي يستفاد منها الدروس العظيمة لتخطي أيام حياة هذه الطائفة من ناحية أُخرى.

بل نعتقد أكثر من ذلك، فإنّ دراسة تاريخ هذه القضية هي واجبة على كل المسلمين بل على كل البشر كما هو حكم سائر التجارب العالمية الأُخرى، فهذا القرآن الكريم يسطر لنا أهمية دراسة تاريخ الأُمم بل ويؤسس مذهباً في ذلك.

فلولا التاريخ لتوقف الزمن بالإنسان، أي لاحتجنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وقرآناً في كل جيل من أجيالنا المتأخرة، ويحتاج جيل صدر الإسلام إلى عيسى عليه السلام وإنجيله، وهكذا حتى يلزم توقف البشرية بحدود آدم ودنياه!؟

وكما أنّ للإنسان بعض المعارف الأولية (القبلية) من قبيل البديهيات والمسلمات والضروريات... الخ والتي تشكل القاعدة الأساسية لكسب سائر المعارف والتي لولاها لما استطاع أن يخطو خطوة واحدة في حياته بل لهلك مباشرة، كذلك التاريخ، فمسلماته وبديهياته وضرورياته يصنعها ويرحلها للحاضر والمستقبل وإلاّ لتوقف كل شيء.

ـ فالقضية الحسينية تكشف لنا كيف ينقلب الإنسان على نفسه ويقتلها، وتوضح لنا مسلسل حركة الجحود البشري لنعمته ومبادئه والتزاماته.

توضح لنا أيضاً كيف تتقوقع الأُمم على نفسها وتعرقل سيرها بذاتها،

توضح لنا كيف تتأخر نتائج التجارب البشرية وترسم لنا أدق الصور لذلك ــ.

لذا فالماضي السحيق والحاضر الواقع والمستقبل الأبدي يصبح مركباً مترابطاً لا يمكن الفصل بين مكوناته بل يكون الفصل بحكم الانتحار لا أقل، وكلما كان الحاضر ناظراً إلى الماضي والمستقبل كلما كان أكثر نضوجاً وأكثر حكمة، ولغياب هذه النظرة عن غالبية بني الإنسان أدى إلى ترنح هذا المخلوق وهو يسير في جادة الكمال وأي ترنح! جعل السير أكثر تعباً وأطول مسافة.

من هنا نفهم الترابط المنطقي والضروري للقضيتين الحسينية والتي تمثل التاريخ الماضي والمهدوية والتي تمثل التاريخ المستقبل.

القضيتان من منظور آخر

من الثابت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاءه من أهل بيته صلوات الله عليهم قاموا بأدوار مختلفة ومتعددة ولكنها داخل السيناريو نفسه ولتحقيق الهدف نفسه، هم مركب مترابط يكمل أحدهم الآخر وبنسق إلهي خاص.

ولكن هنالك علاقة خاصة ما بين بعض الأدوار تفرضها الحكمة الإلهية من ناحية والظروف الموضوعية من ناحية أُخرى. ومن بين تلك الأدوار التي لها علاقة خاصة وترابط وثيق هو دور الإمام الحسين عليه السلام وقضيته المباركة، ودور الإمام المهدي عليه السلام وقضيته العالمية.

ولهذا الترابط عدة أوجه ممكن أن نرى بعضها وندرك قسماً منها:

* الروايات الشريفة تشير إلى هذا الترابط الوثيق بين القضيتين: أشار

الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام من بعده إلى هذا الارتباط في عدة مناسبات منها:

١. عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مشيراً إلى الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«ومن ذرية هذا الرجل يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»[1].

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لما ضرب الحسين بن علي عليهما السلام بالسيف ثم ابتدر ليقطع رأسه نادى منادٍ من رب العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال: ألا أيتها الأُمّة المتحيرة الظالمة بعد نبيها، لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر».

قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا جرم والله ما وفقوا ولا يوفقون أبداً حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام»[2].

٣. عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«يخرج القائم عليه السلام يوم السبت، يوم عاشوراء، يوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام»[3].

(١) مع الركب الحسيني: ج٢، ص١٨٧، عن أمالي الطوسي.
(٢) مع الركب الحسيني: ج١، ص١٨٨، عن أمالي الطوسي.
(٣) مع الركب الحسيني: ج١، ص١٨٩، عن أمالي الطوسي.

. القيام هو السمة البارزة للدورين

أي استخدام القوة إلى جانب الطرق الأُخرى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مما لم يتوفر لأغلب أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم تتهيأ الظروف المناسبة لهم، ونقصد بعدم التهيئة المناسبة أمرين:

الأمر الأول: المصلحة اقتضت عدم القيام.

والأمر الثاني: عدم توفر العدة والعدد المناسبين للقيام.

ـ تعتبر القضية الحسينية المباركة المصنع الذي من شأنه إعداد لوازم القيام بالثورة المهدوية العالمية الكبرى

وعلى كل الأصعدة، النفسية والعقلية والمجتمعية وما يرافقها من إعداد العدة والعدد، فالشعور بالمظلومية وزرع روح الثورة و التضحية في سبيل الأهداف الكبرى واستبصار الحقوق والواجبات لهي مادة اشتعال الثورة الكبرى. أي يمكن القول إنّ الثورة الحسينية المباركة تكفلت بتوفير الغطاء الشرعي الإيدلوجي والنظري للقضية المهدوية من ناحية، وتأمين الغطاء المادي التكتيكي اللازم لنجاح الثورة من الناحية الأُولى. وبهذا يمكن اعتبار واقعة الطف ممهداً عظيماً للثورة المهدوية، وأنّ كل من يريد أن يتشرف بدرج اسمه في قائمة الممهدين لا يمكنه التخلي عن المدرسة الحسينية المباركة، ولهذا فإنّ الظهور المقدس للإمام المهدي عليه السلام وأصحابه سيأخذ بعين الاعتبار القضية الحسينية سلاحاً فتاكاً.

١. خروجه عليه السلام يوم عاشوراء

فعن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يخرج القائم عليه السلام يوم السبت، يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الإمام الحسين عليه السلام»(١).

٢. مطالبته عليه السلام بدم جده الحسين عليه السلام

عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا }.

قال عليه السلام:

«إنّ العامة يقولون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أخرجته قريش من مكة، وإنّما هي للقائم عليه السلام إذا خرج يطلب بدم الحسين عليه السلام وهو قوله: نحن أولياء الدم وطلاب الدية»(٢).

٣. إنّ أول من يرجع هو الإمام الحسين عليه السلام

عن الإمام الصادق عليه السلام، لما سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال:

«نعم».

فقيل له: من أول من يخرج؟ قال عليه السلام:

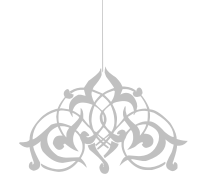
«الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم عليه السلام......»(٣).

---

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ص٥١٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ص٩١٢.



المبحث الحادي عشر: شيء من فلسفة الشعائر الحسينية

ونريد من الفلسفة هنا هو ما يكون جواباً عن لسؤال التالي:

لماذا تحضر مجلساً أو تلطم أو تطبر أو تذهب مشياً إلى الإمام الحسين عليه السلام أو لماذا تبذل الطعام... الخ.

والفلسفة بهذا المعنى مطلوبة لكل حركة أو سكنة يقوم بها الإنسان سواء على المستوى الديني أو الأُخروي، ولهذا من القبيح أن نقوم بعمل ولا نعلم لماذا، ومن القبيح أن يكون جوابنا لأنّ فلاناً عمل هكذا.

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١).

وعليه كان حري بنا أن نذكر بعض الأجوبة لبعض الشعائر الحسينية.

١. قد تكون أسباباً رئيسية لسن بعض الشعائر الحسينية المباركة.

٢. تصلح أن تكون نوايا يتبناها من يأتي بهذه الشعائر المباركة.

٣. تصلح أن تكون ردوداً لمنتقدي تلك الشعائر المباركة.

٤. منها نستطيع أن نتفنن (إذا صح التعبير) في سن أنواع أخرى منها.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

وسوف نذكر تلك الأسباب أو النوايا أو الفلسفات الخاصة بالشعائر على شكل نقاط متسلسلة وسنشير ضمن تلك النقاط إلى مصاديق تلك الشعائر التي تنطبق عليها تلك النوايا.

لماذا نقيم الشعائر الحسينية؟

الجواب:

١. طلباً للثواب المرتجى من إقامة تلك الشعائر

ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«ألا وصلى الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة»[١].

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام عندما أمر دعبل بالقراءة:

«... من ذرفت عيناه على مصاب جدي حشره الله يوم القيامة معنا وفي زمرتنا»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من ذُكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[٣].

٢. طاعة لأوامر أئمتنا

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال:

---

(١) سلوا حسينا: ص٦٦٧، نقلاً عن أسرار الشهادة.

(٢) سلوا حسيناً: ص٦٦٢، نقلاً عن بحار الأنوار.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٩٩.

«مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجل»[١].

٣. تعبيراً عن إنكار المنكر وأهله، والإيمان بالمعروف وأهله

وهذا من ثوابت الأوامر الإسلامية.

٤. تعبيراً عن حب وود الإمام الحسين عليه السلام من ناحية، والحزن والجزع على قتله من ناحية أُخرى

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«كل الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»[٢].

٥. ممكن اعتباره أُسلوباً من أساليب الردع وتحذير الظلمة من إعادة مثل هكذا مآسٍ.

٦. تعظيم التضحية في سبيل المبدأ من ناحية، والتشنيع باقتراف الجرائم في سبيل الدنيا من ناحية أُخرى

٧. الترويح عن الغضب والتأجج الداخلي

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله تبارك تعالى اطلع إلى الأرض فختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٠.

وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»[١].

٨. تأسياً بفعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرئيل عليه السلام قبل وحدثني: أنّ الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال هل لك أن أُشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا»[٢].

٩. نصرة للإمام بحسب الإمكان

ولا شك أنّ نداء من سمع واعيتنا أو نداء ألا من ناصر ينصرنا ما زال مدوياً في سماء الحق والحقيقة وإن اختلفت أساليب استجابته باختلاف الزمان والمكان.

١٠. أسلوب ناجع ومجرب لحفظ الواقعة بل ومذهب الحق

١١. أداء الأجر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وهذا باعتباره مصداقاً واضحاً لمفهوم الود المأمورين به، وقد ورد في حديث أهل البيت عليهم السلام:

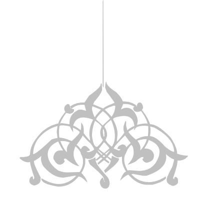
«إنّ الباكي قد أدى حقنا»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٧.

(٢) ذخائر العقبى للطبري: ص١٤٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٠٧.



المبحث الثاني عشر: الشعائر الحسينية.. شبهات وردود

حصرت في هذا المبحث سرد أهم الشبهات التي ترد عادة على الشعائر الحسينية المباركة حصراً دون القضية بأكملها مع أجوبتها وبشكل مختصر جداً بحيث يساعد على حفظ الرد، علماً بأنّي إن شاء الله سأعتمد في أجوبة الردود على الفقهاء والعلماء وبشكل كبير.

الشبهة الأولى: الكذب

يرد في مراثي الإمام الحسين عليه السلام قصص وصور وأخبار عارية الصحة فكيف يجوز ذلك؟

الجواب:

١. إنّ الكذب يكون إذا نقل القارئ خبراً أو قصة قد صاغها فكرةً وألفاظاً من تلقاء نفسه ونقلها للآخرين، أما إذا كان الراثي ناقلاً أو مرتلاً للقصة والخبر كما قرأها أو سمعها من غيره، فلا يمكن أن نسميه كاذباً وإن كانت فعلاً كذباً وإنّما العهدة على الراوي، نعم على الناقل أن لا ينقل الخبر إلا من الثقات وهذا ما يفعله القراء فإنّهم ينقلون من جهابذة أرباب المقاتل. وهذا ما يلتزم به جملة من

خدمة الحسين عليه السلام فإنّه ينسب الخبر إلى مصدره.

٢. جملة من الأخبار منقولة ومسطورة بلسان حال لا الحقيقة والمقال بحيث يُشعر الراوي أو ناقل الرواية بأنّ الخبر هو من قبيل المثل أو تقريب الصورة أو تشبيه الحالة من خلال التصريح أو التلميح أو استخدام بعض الألفاظ مثل (كأنّي)…. الخ، وذلك لتأجيج العواطف أو استدرار الدموع، وهذا بعيد كل البعد عن الكذب.

٣. إنّ أخبار واقعة الطف ضمن قاعدة (التسامح في نقل أخبار القصص والفضائل والوقائع) التي يقرها الفقهاء، أي لا تقع ضمن شروط صحة السند كما في أخبار الأحكام الإلزامية والواجبات الشرعية.

نعم: لابد وأن تؤخذ الأخبار من الثقات أو أصحاب الخبر في نقل الخبر، وكذلك يجب أن لا يستلزم هتك حرمة إمام أو مخالفة لثوابت إسلامية (عقائدية أو فقهية)، وما كان كذلك فينبغي تجنبه.

الشبهة الثانية: التغني بمراثي الإمام الحسين عليه السلام

بمعنى التصويت أو التطريب أو الترجيع ونحوها ضمن التعازي الحسينية وهذا داخل ضمن ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ ؟

الجواب: الغناء موضوعاً وحكماً مختلَف فيه، وإنّ مجرد مدّ الصوت ورفعه أو تحسينه يعتبر غناءً محرماً فليس وارداً، بل الوارد أنّ الأئمة عليهم السلام أحسن الناس أصواتاً بالقرآن.

نعم: لحن أهل الفسق والكبائر المتداول في أماكن لهوهم من الغناء المحرم،

بالإضافة إلى ملاحظة الجهة التي ركزت عليها الروايات وأكدت حرمتها من حيث كونها لهواً وتكلماً بالأباطيل، أما ما لم يكن كذلك فخارج حكماً وموضوعاً وخاصة مراثي سيد الشهداء ذات المضمون القاصد والهادف والصوت الحزين والمهيج للبكاء. نعم: لا يمكننا قبول ما تنطبق عليه مواصفات الغناء المحرم.

الشبهة الثالثة: إضرار النفس والجسد

حيث كثير من المراثي الحسينية يصاحبها ضرب الرؤوس أو لدم الصدور والظهور وإخراج الدم وإلى حد الإغماء أحياناً، وهذا ما لا يجوز شرعاً؟

الجواب:

١. علينا أن نعرف بأنّ حرمة إضرار النفس يقصد به أمرين:

الأول: إضرار نفي الغير، أي لا يجوز إضرار الآخرين.

والثاني: إضرار الإنسان نفسه بضرر دائمي لا مؤقت.

٢. إنّ مجرد إدماء الرأس أو الظهر أو لدم الصدر أو إتعاب الأرجل ليس من الضرر.

ولم يقل أحد بحرمة لدم الصدر أو إدماء الجسد أو إتعاب الأرجل لغير الغرض العقلائي فضلاً عنه، فلا توجد مثلاً كفارة أو حد شرعي على من يعمل هذه الأشياء بنفسه.

٣. ما ورد عن بعض الأئمة عليهم السلام من حال ومقال يفتح هكذا باب لإقامة الشعائر (أحاديث: غيرتها الشمس... بدل الدموع دماً....).

٤. ومن سؤال وجه إلى السيد الخوئي قد: سألناكم عن جواز ضرب

السلاسل والتطبير، فأجبتهم بأنّ لا يجوز فيما إذا أوجب ضرراً معتداً به، أو استلزم الهتك والتوهين، فما معنى جوابكم تفصيلاً؟

الجواب: الضرر المعتد به هو الذي لا يتسامح بالوقوع فيه، كهلاك النفس أو المرض المشابه لمثله، والآخران ما يوجب الذل والهوان للمذهب في نظر العرف السائد والله العالم[1].

الشبهة الرابعة: استخدام آلات اللهو والموسيقى

علينا أن نعرف أموراً:

أولاً: ما هي الآلات المستخدمة في العزاء الحسيني.

ثانياً: هل هنالك آلات محرمة بالنص.

ثالثاً: ما هي العلة أو ما هو ملاك التحريم.

أما الأمر الأول: فالآلات المستخدمة عادة هي: الطبل، والبوق، والصنوج (الطوس).

والأمر الثاني: نعم، هنالك آلات جاءت بها نصوص تحريم:

ـ **الطبل**: الذي يكون وسطه ضيقاً وطرفاه واسعين وهو بوجه واحد، عبر عنه الشيخ محمد عبده بـ(الدربكة) وهو طبل اللهو، وهذا ما ذكره العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء (ج٢)، والمحقق الثاني في جامع المقاصد (ج١٠).

ـ **الدف**: وهذا يكون بالإطار يختلف قطره ضيقاً وسعة، ولا ينفك غالباً

---

(١) صراط النجاة، جواد التبريزي.

إطاره عن قطع نحاسية صغيرة تعلق عليه على الدائر، وحرمه الشيخ الطوسي في (المبسوط).

ـ **العود**: وهو (البربط).

ـ **الطنبور**: وهو (الربابة).

ـ **المعازف**: قيل إنّها آلات تشبه العود.

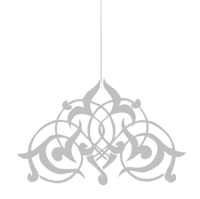
ـ **المزهر**: قيل إنّه الدف الكبير.

ـ **المزمار**: وهو الذي يكون بثقوب كثيرة وهو يختلف عن البوق.

أما الأمر الثالث: فإنّ أسباب الحرمة تتمثل باللهو وترديد الأصوات بشكل مشابه لأهل الفسوق والمجون خلوه من كل أمر عقلائي.

وعليه فالشبهة مرتفعة، وذلك لعدم وجود آلة منصوصة الحرمة وأنّ الأطوار الحسينية العزائية خاصة باستذكار الفاجعة على نحو الألم والحزن وأنّ الهدف من ورائها هو أبعد وأعمق فلسفة من أن نذكره بهذه الكلمات المتواضعة.

وعليه يجب الابتعاد عن كل آلة أو صوت يدخل ضمن دائرة الحرمة؟



المبحث الثالث عشر: قراءة في زيارة وارث

إنّ المتتبع لأُسلوب الرسول الأكرم صلوات الله عليه وأهل بيته سيستنتج أمراً جلياً مفاده هو التعويل على الإمام الحسين عليه السلام وقضيته في رسم وتوضيح ملامح الخط الإسلامي القويم وتثبيت دعائمه والسير به بين باقي الانحرافات التي سيطول بها الزمن بعض الشيء، وإلاّ فماذا تفسر هذا التركيز على هذه القضية في كلماتهم توصياتهم وأفعالهم وتقريراتهم مقارنة مع باقي الأئمة عليهم السلام.

ومن بين الأُمور التي ركز عليها أهل البيت عليهم السلام كإحدى مصاديق اهتماماتهم هي سن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام عن قرب وبعد في العديد من المناسبات.

فحثوا على أدائها وبينوا فضلها بأبهى بيان، (ففي روايات كثيرة أنّها تعدل الحج والعمرة والجهاد بل هي أفضل بدرجات، تورث المغفرة وتخفيف الحساب وارتفاع الدرجات وإجابة الدعوات، وتورث طول العمر والانحفاظ في النفس

والمال وزيادة الرزق وقضاء الحوائج ورفع الهموم والكربات، وتركها يوجب نقصاً في الدين وهو ترك حق عظيم من حقوق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأقل ما يؤجر به زائره هو أن يغفر ذنوبه وأن يصون الله تعالى نفسه وماله حتى يرجع إلى أهله فإذا كان يوم القيامة كان الله له أحفظ من الدنيا، وفي روايات كثيرة أنّ زيارته عليه السلام تزيل الغم وتهون سكرات الموت وتذهب بهول القبر....)[١]، حتى نراها تستغرق أكثر فصول وأيام السنة، فنزوره صلوات الله عليه في (الأول من رجب، النصف من رجب، والنصف من شعبان، وليالي القدر، وعيدي الفطر والأضحى، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، والعشرين من شهر صفر، وليالي الجمع... الخ).

ولعل من أسباب هذا النوع من الاهتمام بالقضية الحسينية هو الأُمور التالية:

١. ما لهذا النوع من الإحياء من أثر خارجي يساعد على تركيز كربلاء في النفوس، وهذا ما يحسّه الزائر وهو يطأ بقعة الإباء والشموخ.

٢. محاولات مقابلة لمحاولات منع الزيارة أو منع إحياء القضية الحسينية من قبل الطغاة والظلمة.

٣. حب أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم من أجل اكتساب الثواب العظيم والأجر الجزيل.

٤. إخراج كربلاء من متون النصوص والروايات وما قد يشوبه من شكوك

---

(١) مفاتيح الجنان للمحقق القمي في فضل زيارة الإمام عليه السلام.

وظنون على واقع خارجي يعيشه المؤمن وغير المؤمن في تراب وماء وهواء الطف وقد رسمت عليه دماء هذه القضية أفجع وأصدق تاريخ.

ومن بين هذه الزيارات المقدسة، هي زيارة (وارث)، رويت هذه الزيارة عن الإمام الصادق عليه السلام عندما علّمها لصفوان حينما استأذنه لزيارة الحسين عليه السلام، وهي كثيرة الأداء من زائري أبي عبد الله عليه السلام من القرب والبعد، وتقع في عدة أعمال وأقوال يقوم بها الزائر تبدأ من البيت وتنتهي إليه[١]، إلا أنّنا نريد هنا أن نتفكر ببعض مضامين المقطع الذي يقوله الزائر عند القبر والذي يبدأ بقول (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...) وتنتهي بقول (وأن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة) والتوفيق منه تعالى... .

نستطيع أن نقسّم دعاء الزيارة على أربعة مضامين

المضمون الأول

التركيز على أنّ الإمام الحسين عليه السلام يمثل امتداداً لخط إلهي قام به الأنبياء والمصلحون من الرجال والنساء وأنّه عليه السلام ينتمي إلى ذلك الخط وآلت إليه (أي وَرَثَ) قيادته ورفع رايته، وأنّه يسير بقانون سماوي وأمر إلهي ليس له أن يحيد عنه، وأنّه عليه السلام قد حافظ على الخط وكذلك قد حافظ ذلك الخط بدوره على الحسين وجعله ينتقل من صلب شامخ إلى رحم مطهر...

وهذا المضمون من الزيارة تربط الزائر كذلك بذلك الخط وذلك التخطيط الإلهي وتجعله يزور ويعترف ويقر أمر السماء منذ وجود آدم عليه السلام، أما

(١) راجع مفاتيح الجنان للقمي.

فقرات الدعاء التي بينت هذا المضمون فهي:

* (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...... والوتر الموتور).

* (أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة..... مدلهمات ثيابها).

وفي هذا القسم نورد بعض الأسئلة وسنحاول الإجابة عنها:

السؤال الأول:

لماذا اختيرت هذه الأسماء دون غيرها من سلسلة الدعاة إلى الله عزّ وجلّ ما قبل الحسين عليه السلام؟

الجواب:

نستطيع أن نذكر بعض الأجوبة لعلها تكون صحيحة وطبعاً مقصدها الواقعي عند الإمام الزائر عليه السلام وهي كالتالي:

١. بروزهم وتميزهم ضمن تلك السلسلة المباركة، علاوة على التأكيد عليهم في القرآن الكريم بل إنّ (نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم) صلوات الله عليهم من أفضل الأنبياء وأنّهم من أُولي العزم إضافة إلى منزلة الإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام اللذين هما من أفضل الخلق بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إضافة إلى الحسن والحسين صلوات الله عليهما.

٢. لعل اشتراكه عليه السلام مع من ذكر أكثر من غيرهم بالخصائص والكرامات.

على فرض المثال:

* آدم عليه السلام أبو البشر وكذلك الحسين عليه السلام أبو الأئمة صلوات الله عليهم.

* نوح عليه السلام قد أنجى بسفينته أنواع المخلوقات من الطوفان وكذلك الحسين صلوات الله عليه وكما ورد في الرواية بأنّه سفينة النجاة لمن تبعه.

* إبراهيم عليه السلام كسر الأصنام وفضح أمرها وكذلك الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يفضح بني أُمية كآلهة جديدة للكفر.

* موسى عليه السلام عندما تخاذل عنه قومه وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، وكذلك تخاذل أهل الكوفة عن الإمام الحسين عليه السلام.

* اشتراكه مع عيسى عليه السلام بمدة الحمل (٦) أشهر وكذلك انتسابه إلى إبراهيم عليه السلام من أُمه وكذلك عليه السلام كان ابناً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أُمه عليها السلام.

ولك أن تجد أخي القارئ وتبحث عن مشتركات أهم وما أردنا إلاّ أن نقدح الفكرة.

السؤال الثاني:

ما هو الموروث الذي ورثه سيد الشهداء سلام الله عليه؟

الجواب:

الوراثة: انتقال شيء إلى آخر مادياً أو معنوياً[١].

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة مصطفوي: مادة ورث.

وكما قلنا بأنّه عليه السلام ومن خلال تبينه خط الدعوة الإلهية وتقديم نفسه قرباناً لها، يكون قد ورث هذا الخط الإصلاحي الإلهي، إلاّ أنّه ومن خلال الصفات التي اقترنت بالأنبياء والأولياء في ألفاظ الزيارة فإنّها لا تخلو من إشارة واضحة إلى بعض أنواع وخصائص الإرث هذا، فمثلاً:

. آدم عليه السلام صفوة الله

والصفوة من الاصطفاء والانتقاء والاختيار.

فإنّه صلوات الله عليه اختاره الله جلّ وعلا كما اختار آدم عليه السلام لعدة كرامات ومهام ومنها (الإمامة)، (القيام والشهادة)... بل إنّ الله جلّ وعلا قد اصطفاه بكرامات أُخرى دون غيره ومنها:

* الأئمة من ولده صلوات الله عليه.
* قبول الدعاء تحت قبته عليه السلام.
* الاستشفاء بتربته عليه السلام.

وغيرها من الخصائص والكرامات التي عجت بها أهم المصادر ومن الفريقين.

. نوح عليه السلام نبي الله

النبوة تعني الإنباء من الله والإنباء عن الله، بمعنى حلقة الوصل بين السماء والأرض، وكذلك الحسين عليه السلام ورث هذه الصفة وأصّل قانوناً مهماً من قوانين السماء متمثلاً بالقيام ضد الكفر والطاغوت ورفع راية الإصلاح.

وهكذا... فنستطيع أن نقول وبدون مغالاة، بأنّه عليه السلام كان في مقام

كليم الله وخليل الله وروح الله وحبيبه... .

المضمون الثاني

التركيز على أنّ الحسين عليه السلام سيتفرع منه الامتداد الطبيعي لذلك الخط الذي ورثه وسيحافظ على استمراره من بعده من خلال الأئمة الطاهرين من ولده سلام الله عليهم.

وأشير إلى هذا المعنى: (وأشهد أنّ الأئمة من ولدك.... باطنكم).

وهنا يكون عليه السلام وارثاً وموّرثاً أو موروثاً.

ووراثة هذا الخط الإلهي هو داخل تحت العناية الإلهية ولا يمكن للطغاة والظلمة أن يبتروه وإن حاولوا، قال تعالى:

﴿ ...إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... ﴾(١).

ولا شك أن الإمام عليه السلام وهو يتفرع منه خط الوراثة الإلهي لهو فضل عظيم من قبل الله سبحانه وتعالى، فنلاحظ في القرآن الكريم إشارات عديدة وهي على نحوين على أقل تقدير.

أولاً: إشارة إلى أن الذرية الطيبة هي الكرامة من قبل الله سبحانه وتعالى ومطلب مهم لأهل الفضل والكرامة، فهذا زكريا نبي الله صلوات الله عليه وعلى نبينا قد طلب من الله جل وعلا ذرية طيبة، قال تعالى:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (١).

ثانياً: إشارة صريحة إلى وراثة الخط الإلهي والفوز بهذه الكرامة الأصيلة، وهنا آية أُخرى تتحدث عن زكريا عليه السلام وهو يطلب الوارث لخط النبوة، قال تعالى:

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (٢).

المضمون الثالث

التركيز على الخصائص الحسينية وما حباه الله تعالى من مميزات وكرامات ذاتية ونفسية ومعنوية، وهذه تبدأ من:

* (أشهد أنّك قد أقمت الصلاة.... حتى أتاك اليقين).
* (وأشهد أنّك من دعائم الدين.... الهادي المهدي).

المضمون الرابع

التركيز على حال الزائر اتجاه الحسين عليه السلام من ولاية له وإيمان به وبالأئمة عليهم السلام من بعده وبراءة من أعدائه عليه السلام ولعن لقاتليه وبيان عظم المصيبة والدعاء بالحشر معه صلوات الله عليه، وهذا ما بينته باقي فقرات الدعاء.

وهذا المضمون من الولاية لأئمة أهل البيت عليهم السلام والبراءة من

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٥ ـ ٦.

أعدائهم هو من صميم عقائد مذهب الحق أعزّه الله تعالى.

ولا شك أنّه في المقابل، يكون يزيد بن معاوية عليها وأبوه عليهم لعائن الله هم ورثة الخط المقابل الذي مثله النمرود والفراعنة وضلاّل بني إسرائيل وأبو لهب وأبو جهل... وبهذا تكون الزيارة المقدسة (وارث) ذات مضامين تاريخية وعقائدية مختزلة وعميقة.

أحباء الله

((السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه))

نعت الإمام الصادق عليه السلام أصحاب جده الحسين عليه السلام الذين بذلوا مهجهم دونه في واقعة كربلاء بأحباء الله، وبهذا الوسام الذي قلّد به الإمام المعصوم عليه السلام هذه الصفوة المصفّاة، وهذه النسبة الكريمة لله جلّ وعلا، فالإنسان خلق الله وعبد الله شاء أم أبى، ولكن أن يكون من أحباء الله جلّ وعلا فهذا يحتاج إلى كمالات وفضائل عديدة ونادرة قد بيّنها لنا القرآن الكريم في عدد من آياته التي لو جمعناها هنا نكون قد حققنا ثمرتين.

الأولى: نكون قد عرفنا أوصاف شهداء الطف وفضائلهم التي تحلوا بها صلوات الله عليهم وبهذا يكون تعبير الإمام الصادق عليه السلام مختزلاً لكل تلك المواصفات ومتبعاً تعبيراً بلاغياً جامعاً.

الثاني: نتعرف على تلك الفضائل التي يريدها منه جلّ وعلا كمقدمة لنيل تلك المرتبة الشريفة (حبيب الله)، وعندها تكون معرفتنا لها الخطوة الأولى واللازمة للتحلي بها واكتسابها.

إذن ما علينا سوى استنطاق القرآن الكريم ونتعلم منه ما هذه الفضائل مع شيء من الشرح والتوضيح:

بحث قرآني لمعرفة صفات أحباب الله جلّ وعلا

تطرقت عدة آيات من القرآن الكريم إلى فضائل وصفات من يحبهم الله تبارك وتعالى، مع الإشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى وحسب العنوان الأولي قد شمل جميع المخلوقات والإنسان خاصة بالرحمة والرأفة واللطف ما يعجز عنه الوالد لولده.

إلاّ أنّ ومن باب العدالة الإلهية وضع الأشياء في محلّها من جانب وخلق روح التنافس نحو الكمال وارتقاء الدرجات من جانب آخر، جعل الله سبحانه وتعالى درجات ومستويات للتفاضل بين العباد، قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[١].

وكذلك قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٢].

الآية الأولى

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩.

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[١].

إذن: الصفة الأُولى لأحباب الله هي: اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والاتباع: من تبع.

والأصل في هذه المادة: هو القفو والحركة خلف شيء مادي أو معنوي وسواء كان الاتباع عملاً أو فكراً[٢].

فهذه الفضيلة الأُولى، فالإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبرسالته واتباعه عقيدة وفكراً وعملاً والأخذ بسنته لهو طريق اكتساب تلك المحبة الإلهية بالإضافة إلى اكتساب مقومات مرتبة الشهادة، قال الله عزّ وجلّ:

{ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }[٣].

فأصحاب الإمام الحسين عليه السلام هم من أوضح معالم اتباع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبذل المهجة في سبيل دينه وسنته وبقيادة أوصيائه المنصبين من قبل السماء.

الآية الثانية

قال الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة تبع.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٣.

{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[١].

الإحسان لغة: جعل الشيء ذا حسن أو جعله حسناً[٢].

ولقد عرف القرآن الكريم مصاديق لصفات المحسن.

أولاً: العفو والصفح عن الآخرين، قال تعالى:

{ ...فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[٣].

ثانياً: الصبر والتقوى، قال الله عزّ وجلّ:

{ ...إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }[٤].

ثالثاً: والإحسان في القرآن الكريم ذكر مرات عديدة:

١. مرة للنفس، قال تعالى:

{ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ }[٥].

٢. مرة للوالدين، قال عزّ وجلّ:

{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا... }[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة حسن.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١١٣.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

٣. مرة للآخرين، قال تعالى:

{ ...فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ... }[١].

٤. مرة لله جلّ وعلا، قال تبارك وتعالى:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... }[٢].

فهنيئاً لأنصار أبي الأحرار وهم يحسنون لربهم وأُمتهم وأنفسهم ببذل مهجهم في سبيل رفع الغبار عن ملامح الحسن الإسلامي الذي طالما حاولت يد الكفر والانحراف تشويهها.

الآية الثالثة

قال الله تبارك وتعالى:

{ ...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ... }[٣].

التوّاب: صيغة مبالغة للتائب، والتوبة لغة: الرجوع من الذنب والندم عليه[٤].

فهنا ذكر الله سبحانه وتعالى بأنّ محبته متعلقة بالتوّاب (صيغة المبالغة) لا بالتائب، ويمكننا أن نفهم بأنّ المراد هنا:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة توب.

أولاً: المعنى الأفقي

بمعنى أن يكون العبد كثير التوبة نسبة إلى كثرة المعاصي التي تصدر عنه وتنوعها، فهو كلما صدرت منه معصية معينة يبادر إلى الإقلاع عنها والندم عليها والرجوع إلى الله جلّ وعلا مستغفراً له.

ثانياً: المعنى العمودي

أي لأهل الكمال ودرجاته، وهو عدم الوقوف على مرتبة معينة أو خلف حجاب معين (نوراني أو ظلماني) وإنّما تراه يعتبر الوقوف عند حد معين في طريق التكامل إلى الله جلّ وعلا معصية تستدعي التوبة والعودة إلى الله جلّ وعلا واكتساب المرتبة التي تليها.. وهكذا، ولهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من تساوى يوماه فهو مغبون».

ثالثاً: هناك فهم آخر، وهو أن يتحلّى العبد بهذا الخلق الإلهي الرفيع، فالله جلّ وعلا (توّاب)، يقبل التوبة من عبده وكذلك على الإنسان أن يغفر لأخيه إذا خطأ بحقه أو أساء إليه.

فسلام عليكم يا أصحاب أبي عبد الله وأنتم رجعتم إلى الله مجزرين كجزر الأضاحي ومنسلخين من ذنوبكم كما ينسلخ الليل من النهار وتوجهتم نحو بارئكم متخطين بذلك الدرجات تلو الدرجات، وها نحن نخطأ بحقكم ولا نفي لكم ولو بالأقل وأنتم تتلطفون علينا بعين رعايتكم ودعائكم عند ربكم لنا.

الآية الرابعة

قال الله تبارك وتعالى:

{ ...رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ } [(١)].

والطهارة: هو ما يقابل النجس والقذر، أعم من أن يكون في مادي أو معنوي[(٢)].

ولها عدة أفراد: منها: طهارة الجسد أو الثوب أو المكان.. الخ، من النجاسات التي حكم الشارع المقدس بنجاستها.

ومنها: طهارة الروح مما يشوبها من كراهية وحسد وكبرياء... الخ.

ومنها: طهارة الأموال من الحرام.

ومنها طهارة: المكان مما لا يليق به، قال تعالى:

{ ...وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [(٣)].

ومنها طهارة المولد: وهي الولادة المتأتية من نكاح شرعي... الخ.

فأين نحن من أسود كربلاء الذين رحلوا مع ركب العشق الحسيني وهم أنقياء طاهرين من كل ما تلوث هذه الدنيا أهلها والمتعلقين بحبالها من ملوثات ذات متاع قليل وبهجة خادعة؟؟؟

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة طهر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

الآية الخامسة

قال تعالى:

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(١).

والتقوى: من الاتقاء، أي اتخاذ الوقاية، واصطلاحاً: هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها الترك والحذر.

ووصف القرآن الكريم المتقين بعدة أوصاف:

١. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾(٢).

٢. وقال تعالى:

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾(٣).

٣. وقال عزّ وجلّ:

﴿ ...ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٣) سورة الليل، الآيات: ١٧ ـ ١٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٢.

٤. وقال الله تبارك تعالى:

{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[١].

وهناك خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يصف فيها المتقين لمن أراد الاستزادة موجودة في السفر الخالد (نهج البلاغة).

الآية السادسة

قال تعالى:

{ ...وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }[٢].

والصبر: حفظ النفس عن الاضطراب والجزع بالسكون والطمأنينة[٣].

وأنّ الله تعالى أثنى على نبيّه أيوب عليه السلام بالصبر:

{ ...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة صبر.

(٤) سورة ص، الآية: ٤٤.

وقسم الصبر على أنواع:

. الصبر على الطاعة

{ ...فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ... }[١].

. الصبر على المعصية

...أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }[٢].

. الصبر عند نزول البلاء

{ ...وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ... }[٣].

والصبر في بعض المواقف يكون بديلاً عن القوة، قال الله تعالى:

{ ...إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ... }[٤].

والصبر من مقومات النفس لا الجسد.

فأحباء الله جلّ وعلا في واقعة الطف كان لسان حالهم يقول: (صبراً على قضائك يا رب).

الآية السابعة

قال الله تعالى:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٢.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

{ ...فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }[(١)].

التوكل: من وكل، وهو اعتماد على الغير وتخلية الأمر إليه[(٢)].

والتوكل على الله جلّ وعلا قد ندب إليه القرآن الكريم وتحلى به الأنبياء والصالحون، وله مقامات ودرجات ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

الآية الثامنة

قال تعالى:

{ ...وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[(٣)].

والقسط: العدل، وهو إعطاء كل ذي حق حقه.

والقسط تارة يكون معنوياً، كإقساط الإنسان من نفسه، وتارة مادياً كتوزيع الحقوق المادية وتقسيمها حسب الاستحقاق.

وله مراتب ودرجات ويحتاج إلى تعلم ورياضات، وهو في مقابل الظلم والجور.

الآية التاسعة

قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة وكل.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٢.

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [(١)].

مرصوص: أي الثابت، كالبنيان الثابت.

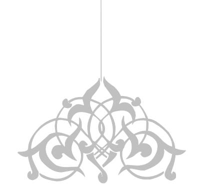
فالله عزّ وجلّ يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كبيوت البناء المرصوص الثابت[(٢)].

وهنا يكون أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهم يقفون كالبنيان الواحد رغم قلتهم وغربتهم وعطشهم وتكالب الأعداء عليهم، لا يثنيهم عن مبدأهم أي شيء، فهم بحق أحباء الله، حشرنا الله معهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

---

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج٥، ص١٦٤.



المبحث الرابع عشر: القضية الحسينية من منظور عصري

لو تركنا كل المقاييس الأُخرى وجئنا نعرض حركة الإمام الحسين عليه السلام وصحبه وأهل بيته في عاشوراء على مفاهيم عصرنا الحاضر وأدبياته التي تكاد تَطبق على كل بقعة من بقاع الأرض تحت شعارات وصيحات رنانة تتبناها مؤسسات ودول وتحالفات ضخمة وتسير بها وفق منهج منتظم إلى حد ما.

ومن أهم هذه الأدبيات والتأصيلات هي: (الديمقراطية في إدارة الدول) حيث كلما كانت الدولة أكثر ديمقراطيةً كانت أكثر تقدماً.

وبغض النظر عن كل سلبيات وإيجابيات هذا النظام المعاصر، وإعراضاً عن كل مساوئه ونتاجاته وما قيل عنه وما قيل فيه، وتحاشياً عن عرضه للمقياس الديني، وانطلاقاً من عنوان نستطيع أن نلصقه فيه وهو عنوان العقد الاجتماعي، أي هو عبارة عن اتفاق بني البشر وتراضيهم (وإن كانت مفروضة عليهم بالقوة كما هو ملاحظ) على نوع وطريقة عيش فيما بينهم.

بغض النظر عن كل هذا، نحصر تعريف الديمقراطية بثلاث نقاط:

١. حكم الشعب لنفسه، أو مبدأ الحاكمية للشعب، بمعنى ومن خلال انتخابات حرة وشفافة ينتخب الناس من يريدون والترجيح للكفة الأكثر عدداً، أي نبذ ومحاربة كل أنواع الحكم الأُخرى ومن بينها الديكتاتورية الفردية أو حكم طبقة (دينية أو اجتماعية) على طبقة أو تنصيب أو نص غير نابع من الشعب نفسه.

٢. توسيع دائرة الحرية الشخصية إلى حد دائرة الغير أو الدوائر التي انبثقت عن اتفاق الأغلبية، وما عداها فلك أن تقول أو تتصرف ما شئت.

٣. فصل السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية بعضها عن البعض.

إلى غيرها من النقاط التي قد تدخل تحت هذه النقاط أو تخرج عنها بوجه.

إذن ومن خلال تصفح أوراق الثورة والتحقيق في مستنداتها وتوضيح ملابساتها، سنجد أنّ الإمام وتحت ظل نقاط تعريف الديمقراطية العصرية، أنّ الحسين هو شهيد الديمقراطية والثائر ضد كل أنواع التعسف والتجبر واسترقاق الرقاب واستغلال مقدرات الدولة من أجل مطامع شخصية وعائلية وطبقية.

فليأتي دعاة الديمقراطية العالمية المعاصرة وليفتشوا في أوراق هذه الثورة وليأخذوا الدروس والعبر وليعلنوا أنّ الحسين هو ثورة المظلوم على الظالم، هو سخط الشعوب المستضعفة ولعنتها على كل أنواع الشوفينية والانفرادية ومنطق لا ترون إلا ما أرى.

هو الداعي إلى حرية التعبير وحرية اختيار القادة الحقيقيين، صاحب دعوة الإصلاح الشامل.

ومن كلمة للرئيس المصري جمال عبد الناصر لدى افتتاح الضريح الجديد

لرأس الإمام الحسين عليه السلام (السلام عليك أيها القائد العظيم الذي أعلن أول ثورة في الإسلام ضد المتسلطين على رقاب الشعوب المظلومة)(١).

كان يزيد ابناً لأبيه ووارثاً ألمعياً لذلك الطاغوت المتجبر الذي استخف قومه (الشاميين) فأطاعوه، حارب وأراق الدماء ولعب بالمال العام في سبيل ملك عضوض يتوارثه أبناؤه من بعده.

والغريب أنّ دعاة منطق الشورى وأنّ أمر الناس يعود للناس وبعد أن حرموا القائد الحقيقي للأُمة عن قيادته تحت هذا الشعار، نراهم وسعياً وراء أنفسهم الإمارة والحاقدة على الحق وأهله يعطلوا هذا القانون ويعطوا الشرعية لمخالفه ما دام يصب بنفس مصب نيران بغضهم وتذمرهم.

هذا هو منطق الطواغيت، يستطيعون أن يشتروا أبدان الناس بإرهابهم رغم اعتراض القلوب ونفور الأرواح منهم، جنّد يزيد ضد الإمام الحسين عليه السلام عشرات الآلاف بعد الترهيب والقتل والتعذيب حتى عُبّر عنهم للإمام عليه السلام بأروع تعبير (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، بينما كان منطق الثورة (من لحقني فقد استشهد ومن لم يلتحق بي لم يدرك الفتح)، شتان بين المنطقين...!

مقارنة سريعة بين السياسة العلوية والسياسة الأُموية

لا شك أنّه من الظلم أن نقارن بين الخط الإسلامي المحمدي الأصيل المتمثل بخط إمامة أهل البيت عليهم السلام ومن سواهم وخاصة الخط الأُموي لأنّ الفارق بينهما أوضح من الشمس وأبين من الأمس ولكن للتذكير

---

(١) نقلاً عن كتاب سلوا حسيناً، هشام آل قطيط.

والاستفادة من جانب وتوضح لمن ليس لديه اطلاع على الخطين من جانب آخر سوف نستعرض بعض الأدبيات التي يعتمد عليها الخطان في قيادة الأُمة وسياسة وتدبير أُمور العباد، معتمدين على ذلك مشهور السير التي أقر بها أتباع الخطين:

. أساس الحكم

مبدأ التصدي لإدارة أُمور الناس له مشارب ومذاهب:

فالمذهب العلوي هو من أجل إقامة العدل بين الناس، إشباع الجائع ـ إكساء العريان ـ القضاء بالحق... الخ، وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام:

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من غفطة عنز»[١].

أما المنطق الأُموي في علة التصدي: هو المُلك والاستئثار وسفك الدماء وإباحة الذمم والعمل بكل ما من شأنه الحفاظ على المنصب، فهذا منطق أبي سفيان يضمنه بأرجوزة له تتناقلها كتب التاريخ كوصمة عار له ولمذهبه (تلقفوها يا أبا سفيان كتلاقف الكرة[٢] فو الذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار)[٣].

(١) نهج البلاغة: خطبة له تسمى بالشقشقية.

(٢) أي الخلافة.

(٣) الكلام قد يكون بالمضمون.

. ولاية الحاكم على المال العام وصفة تصرفه فيه

إنّ أول فتنة يبتلي بها الملوك وهم يتسنمون عروش الحكم، هي أنّهم يجدون بين أيديهم وتحت تصرفهم إمكانيات مادية وبشرية هائلة وهي رهن إشارته، فمنهم من يكون همه الحفاظ على المال العام ووضعه في نصابه ومورد صرفه الشرعي والقانوني ومنهم من يستغل هذا المال العام في رفاهية نفسه وأهل بيته وحاشيته.

ولبيان مذهب الخطين في هذا المجال نذكر هذه الحادثة التي ينقلها أرباب التاريخ:

إنّ عقيل بن أبي طالب سأل علياً عليه السلام فقال: إنّي محتاج وإنّي فقير فأعطني، فقال عليه السلام:

«اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم».

فألح عليه، فقال عليه السلام لرجل:

«خذ بيده وانطلق إلى حوانيت أهل السوق، فقل: دقَّ هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت».

قال: تريد أن تتخذني سارقاً؟ فقال عليه السلام:

«وأنت تريد أن تتخذني سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم!».

قال: لآتين معاوية، قال: أنت وذاك، فأتى معاوية، فسأله، فأعطاه مئة ألف ثم قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك، فصعد فحمد

الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنّي أخبركم أنّي أردت علياً على دينه فاختار دينه، وأنّي أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه[1].

. حرية التعبير

لا يختلف اثنان بأنّ أول عمل يعمله الطغاة هو تكميم الأفواه والحجر على العقول واستخدام المنطق الفرعوني (لا أريكم إلا ما أرى)، بينما خط التعبير عن الرأي واحترامه يكون عند الطرف المناقض الآخر:

فينقل لنا التاريخ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما تمت البيعة له وبايع جمهور المسلمين، صعد عليه السلام المنبر وقال:

«قوموا فتخللوا الصفوف ونادوا: هل من كاره؟».

فتصارخ الناس من كل جانب: اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه[2].

أما المنطق الأُموي فيتجلى بخطبة معاوية في مسجد الكوفة بعد صلحه مع الإمام الحسين عليه السلام:

(يا أهل الكوفة أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنّكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكنّي قاتلتم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون..)[3].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ترجمة معاوية.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٤، ص٢٩.

(٣) راجع رواية المدائني، راضي آل ياسين: صلح الإمام الحسن عليه السلام، ص٢٨٥.

. اختيار الوزراء والأعوان

إنّ من أهم دعائم الحكم هي الحاشية والوزراء والعمال خصوصاً وجهاز الدولة على وجه العموم، فتارة يعتمد على المخلصين المجدين ذوي الخبرة والسمعة الحسنة وتارة يستأزر الخائن الذي لا هم له سوى تبادل المنفعة الشخصية مع من استأزره وترك البلاد والعباد تحت مظلة الجوع والحرمان:

فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يؤصل القانون الذي يتم به اختيار الأعوان وهو يوصي مالكاً الأشتر عندما بعثه ليتولى مصر:

«إنّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنّهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة...».

ويقول عليه السلام:

«ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأُمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».

أما المنطق الأُموي في وصاية خلفائهم وعمالهم فتتجلى في وصية معاوية إلى ابنه يزيد: ((... يا بني إنّي قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء وذللت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب...))، وتتجلى بمستشاري هذا الخط من الجواري والصبيان وأهل الغدر والمكر كعمرو بن العاص وسر جون النصراني ومروان بن الحكم أو اعتمادهم على أطغى الطغاة والعمال، كعبيد الله ابن زياد وعمر بن سعد ونمير بن الحصين...، يعتمدون على جيش لا يستطيع أن يميز الناقة من الجمل على حد تعبير معاوية.

. أخلاق الحرب

تتميز الأخلاق الحربية بالتفاوت بين محارب ومحارب، فأصحاب المبدأ تراهم يحاربون بحدود هدفهم ومبدأهم وفق قوانين وأخلاقيات لا تمس بكرامة الطرف الآخر فضلاً عن غيره المسالم، بينما نرى سياسة الطواغيت على غير ذلك، فتراهم يهلكون الحرث والنسل ويعيثون في الأرض فساداً تحت مظلة الحرب: فمن أخلاق الإسلام الحربية[1]: (عدم البدء بالحرب) فحروب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته كلها كانت دفاعية وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوصي جيشه:

«لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها...».

. سياسة الدولة في الجانب الاقتصادي

الدول التي تحكمها الطواغيت تتميز بالطبقية وانحسار عائدات الدولة على ثلة ممن يدينون بالولاء لذلك الطاغوت، أما ما عداهم فتراهم يقاتلون على ما يفضل من رغد عيش هؤلاء الذي عادة لا ينتهي.

ومن أمثلة السياسة الاقتصادية العادلة نعطي هذه القصية: يذكر أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: «من هذا؟».

قالوا: إنّه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل وليس له مال يعيش به فيتكفف الناس.. قال الإمام عليه السلام في غضب:

(١) أخذت عن كتاب السياسة من واقع الإسلام للسيد صادق الشيرازي دام ظله.

«استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه..!».

ثم جعل الإمام لذاك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت[١].

أما في قبال هذه السياسة، فنلاحظ أنّ أبا ذر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقائل بحقه وفضله ما يتناقله الخاصة والعامة، ينفى إلى الربذة لأنّه انتفض نصرة للفقراء وسياسة تقسيم أموال المسلمين الظالمة.

. القضاء وسياسة الثواب والعقاب

ضرب المذهب العلوي أعلى مستويات تحقيق العدالة والقضاء بالحق، حتى قيل في حقه عليه السلام:

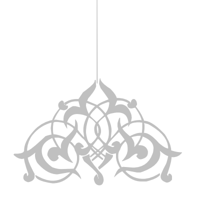
«أقضانا علي».

طبّق عليه السلام قانون الثواب والعقاب الإسلامي بأكمل صوره، وقضاؤه مشهود ومسطر في الروايات والقصص والكتب.. الخ، أما السياسة الأُموية فقد حفلت بتغيير السنن وتحريف الشرائع ومخالفة الذوق الإنساني القويم والتفاخر بأحكام القتل والسبي والتعذيب والإيداع بالمطامير والزنازين أو بالسجون التي لا تقي من حر ولا برد، وصدق من قال:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

هذه مقارنة سريعة ومختصرة بين خطين إسلاميين... فهل من منصف..؟

(١) راجع وسائل الشيعة: ج٥، باب ١٩.



المحتويات

الفصل الأول

عرض الثورة الحُسَينيّة المقدسة من المدينة إلى المدينة

الفصل الثاني

تحليل لبعض جوانب الثورة الحسينية المقدسة